هل
العربية منطقية ؟

أبحاث ثُنائيَّة أَلسُنيَّة

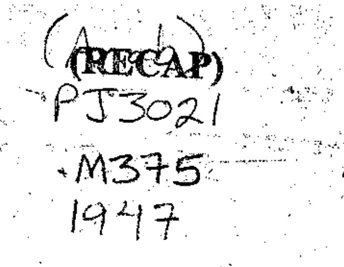
تأليف

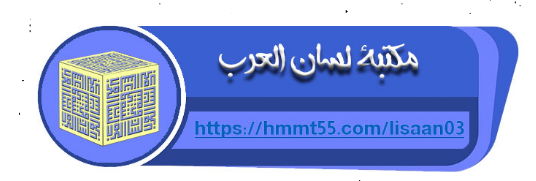
الاب ا. س. مرمرجي الدومنكي

احد اساتذة المعهد الكتابي والآثاري
في القدس الشريف

مطبعة المرسلين اللبنانيين — جونيه (لبنان)

١٩٤٧


(RECAP)
PJ3021
.M375
1947


مكتبة لسان العرب
https://hmmt55.com/lisaan03

هل العَربيّة مَنطِقيّة ؟

ابحاث ثنائية ألسُنية[1]

فاتحة

بين جمهرة أبناء اللغة الضادّية كتّاب مجيدون ، وشعراء مطبوعون ، وأدباء بارعون، وخطباء مبرّزون ، وكلّهم يستمدون ، في ابحاثهم الاختصاصية من الينبوع الزاخر ، ينبوع اللغة المتدفّق من معجماتها الامهات ، مجتزئين بانتقاء الالفاظ الملائمة للتعبير عن افكارهم فصاحةً وبلاغة .

أما اللغويون الذين استقصوا الذرائع في جمع شتات المفردات في دواوينهم ، فقد كان لهم الفضل العميم على اللسان العربي واهله مدى الدهر ، لحفظهم مادّته ، بما أوتوه من القرائح الوقّادة ، وما اذّخروه من المعارف الفيّاضة ، وما بذلوه من الجهود الجبّارة .

وعصرنا هذا ، عصر النهضة العربية المباركة ، عصر العلوم والفنون والمخترعات الحديثة ، عصر النقل والوضع والتجديد ، عصر المجامع والندوات اللغوية ، يذكّرنا بعهد العلوم اللسانيّة والمعارف الدخيلة، عهد التعريب والترجمة في بيت الحكمة ، في دار السلام .

وكما زاد كنز اللغة في ذاك الزمان بالاوضاع المستحدثة ، فازدهرت واصبحت آلةً مرنةً لشتى العلوم ومرافق الحضارة ، فاليوم معقود الامل ان هذه اللغة الكريمة تواصل السير بعزم واقدام في سبيل الانتعاش ، فيزخر كنزها ، وتتضاعف ثروتها ، بهمة وعبقرية علمائها الاعلام الساعين،

---

(1) سبق نشر قسم من هذه الابحاث في طائفة من الموقوتات العربية .

كل في ميدان اختصاصه ، في استنباط المصطلحات الجديدة في ابواب العلوم والفنون العصرية ، اسوةً بسلفائهم علماء البصرة والكوفة ، ودار الحكمة البغدادية .

على ان المعجمية العربية ، مع ارتقائها تدريجاً في معارج التقدم بمساعي الأئمة القدماء ، لم تزل معتراةً بشتى الشوائب ، ولاسيما بشائبة اللامنطقيّة . اذ إن اصحاب المعاجم ، لحصرهم جلَّ همّهم في جمع الموادّ وايداعها في بطون الاسفار ، حسب تيسُّر وقوفهم عليها ، لم تسنح لهم الاحوال ، او لم يخطر لهم على بال النظر في امر هو من الخطورة بمكان ، الا وهو تنظيم الالفاظ تنظيماً منطبقاً على طبيعة الاشتقاق المعنوي ، والتسلسل والتناسق المنطقي . وقد حصل ذلك خاصة من جراء القاعدة السابقة عهد نشوء المعجمية العربية ، والمتّبَعَة في معجميات الالسنة الساميّة الاخوات ، الا وهي جعل المادة الثلاثية مبدأ لتفرّع المفردات ، وتطوّر المدلولات . ولاجل هذا كله ، بقي شيء كثير من التضارب والتنافر ، بل قل التضادّ في المعاني ، يشقّ استمراره على الاعراب ، وينفُر منه الاغراب ، مدّعين ان لساننا ، ومن ثَم مداركنا ، خلو من المنطق ، بدليل ان اللغة مرآة العقول ، وآلة لاداء الخواطر .

غير ان هذه الحالة المعيبة في معجميتنا ان هي الّا ظاهريّة ، ومن شأنها الزوال والاضمحلال ، اذا تغير وضع المعاجم ، واقيم اسُّها ، لا على الثلاثية ، بل على الثنائية ، مع الاستعانة بالألسُنية السامية .

هذا ما قد حاولنا اثباته في كتابنا « المعجمية العربية » وهذا ما نحن غير منفكّين عن السعي في تحقيقه ، وان كان من دونه خرط القتاد . وها نحن اولاء نسرد في هذا السفر طائفةً من الامثلة تظهر فيها اللامنطقية طالما هي باقية على الحالة الثلاثية ، وتتجلّى فيها المنطقية التامّة حين معالجتنا اشتقاق الالفاظ ، وتطور فحاويها طبقاً للنظريّة الثنائية ، وطريقة الألسُنية السامية .

١ ــ سَادَ، سَوِد

العربية :

ساد : مجُد، شرُف . ساد قومَه : تسلَّط عليهم . ساد فلاناً : غلبه، عند المغالبة في الشرف . وسود : صار أسود . سوَّد : جرُؤ . سوَّدوه : جعلوه سيداً . سوَّده : جعله أسوَد . أساد واسود : ولَد غلاماً سيداً ؛ او غلاماً اسود . ساوده : كايده، وغالبه في السواد والسؤدُد؛ وسارَّه . تسوَّد الرجلُ : تزوَّج .

السواد : اللون الحالك الظلام، المخالف للبياض ؛ و — الشخص ؛ و — المالُ الكثير؛ و — العدد الوافر ؛ و — الشجر العديد ؛ و — الحديث . السُؤدُد : السيادة . السيِّد : ذو السيادة ؛ و — الرئيس . والاسود : ذو اللون الحالك ؛ و — أجلّ القوم . هو اسود من فلان : أجلّ منه [1] .

السريانية :

(لا وجود فيها للثلاثي المجرد)

Sawwèd : ساود، سارَّ، حدَّث، فاوض .

Suwâdâ : سواد، حديث، كلام، مفاوضة .

Swâdâ : سوَاد، جماعة، زمرة .

Swâdâyâ : سوادي، عامّي، دارج [2] .

---

(١) اللسان ٤ — ٢٠٩ ي ي ؛ التاج ٢—٣٨٤ ي ي ؛ القاموس ١—٣٠٤، Lane (معجم عربي—انكليزي) ص ١٤٦٠ ي ي .

(٢) دليل الراغبين في لغة الآراميين (معجم كلداني—عربي) للمطران منّا، ص٤٨١

العبرية :

Sôd : محادثة ، مفاوضة ، سرّ ، اجتماع ، جمعيّة .
Sôdi : سِرّ ، خفيّ ، سِرّي[1] .

تنسيق وتعليل

١ — التنافر جلي بين السيادة والسواد ، وبين السيد والأسود ، وبين ساود بمعنى كايد ، وساود بدلالة سارّ ، وبين أساد : ولَد غلاماً سيداً ، وبين اسود : ولَد غلاماً أسود . بيد ان التنافر يزول اذا اتخذنا الثنائي مبدأً للاشتقاق والتطور المعنوي .

٢ — هذا الثنائي هو « سَدْ » . وهذه أهم معانيه : ردم ، اغلق . سدّ القارورة : صمّها . سداد القارورة : صمامها الذي يُسدّ به فمها . السدّ : الحاجز بين الشيئين . والسدّ : العيب . مثل العمى ، وهو سدّ العين . السدّ : السحاب الاسود ؛ والسدّ : المرتفع السادّ للافق ؛ والسّدّ : الظل[2] .

٣ — ان السدّ أو الاغلاق يمنع النور . من ذلك تنشأ الظلمة ؛ ولون الظلمة السواد . ولهذا جاء سود : كان ذا لون معتم . وسوّده : جعله أسود . واساد أو أسوَد : ولَد غلاماً أسود . وساوده : كايده ، اي عامله معاملة سوداء اي رديئة . والسواد : اللون الحالك المعاكس للبياض . ومنه السواد : العدد الكثير ، لان لون المتجمهرين أسود . كذلك الشجر الوافر . وفي السريانية Swâdâ جماعة .

٤ — من شأن الشيء الذي يسدّ ان يكون أعلى ممّا يسدّه . عن هذا نجم معنى الارتفاع . ومنه اشتُق السواد : كل ما انتصب ، وهو

---

(١) Elmaleh (معجم عبري—فرنسي) ع ١١٠٩
(٢) البستان (معجم عربي لعبدالله البستاني) ١ — ١٠٦٩ ي .

شخص الشيء او هيئته . وفي الشخص مدلول الانتصاب او الارتفاع . وعن بُعدٍ يبين الشخص أسود . فنتج عن ذلك ساوده اي سارّه ؛ لان المسارّة تتطلب تداني السوادين ، اي الشخصين . وقد ورد هذا عينه في السريانية ، في فعل Sawwĕd : ساود ، سارّ ، حدّث ، فاوض . وSuwâdâ سواد ، حديث ، مفاوضة . وفي العبريّة Sôd : محادثة ، مفاوضة ، سِرّ ، اجتماع . Sôdi : خفي ، سرّي .

٥ — من فكرة الشخوص والارتفاع المحسوس صدرت فكرة الارتفاع المعنوي المجازي ، وهي السيادة والشرف . ولذا يقال : ساد : مجُد ، شرُف . وساد قومه : ارتفع وتسلّط عليهم . وساد فلاناً : غلبه عند المغالبة في الشرف . وسوّد : جرؤ ، لان السيادة والسلطة تخوّل الجرأة . وسوّدوه : جعلوه سيداً ؛ وساوده : غالبه في السُوْدُد .

٦ — من ذلك ايضاً السيّد : المرتفع ، الشريف ، الملك ، الزوج . لانه ربّ المرأة . وتسوّد : تزوّج : أي أضحى ربّ امرأة . والسوْدُد : كرَم المنصب ، والقدر الرفيع . والاسود : أجل القوم .

ب ـ خَدَرَ

العربية :

خدَر : تحيَّر ؛ و — الأسدُ في عرينه : لزمه ؛ وخدَرت الظبيَّة : تخلَّفت عن القطيع ؛ وخدَر البنتَ : ألزمها الخِدْر ؛ وخدَرت البنتُ : لزمت خِدرَها ؛ وخدِرت الرِجل : أصابها الخَدَر ؛ وخدِر النهار : اشتد حرُّه وسكنت ريحه ؛ وخدِر البَرْد : اشتدّ ؛ أخدَر بصرَه : منعه عن الشيءْ ؛ وأخدَر القومُ : اظلّهم المطر . الخُداريّ : السحابُ الأسود . الخِدْر : سِترٌ يُمدّ للجارية في ناحية البيت ؛ ثم صار كل ما وارى المرءَ من بيتٍ ونحوه

خِدراً ؛ و — الهودَج ؛ و — عرين الأسد ؛ و — ظلمةُ الليل . والخَدَر : الفتور والكسل ؛ و — الامذلال و — المطر ؛ و — الغيم ؛ و — الظُلمة . الخَدِر : الندي البارد[1] .

العبرية :

Hâdar (خ) : نفذ ، عمّق ، أحاط ، بقي في غرفة .
Hêdêr : غُرفة ، مسكن ، داخل[2] .

الحبشية :

Hadara (خ) : سكن تحت خيمة ، أو في بيت ، نزل منزلاً ، احتوى
Mahdar : خيمة ، خباء ، بيت ، مسكن ، فندق[3] .

تنسيق وتعليل

١ — لا حاجة الى تبيان ما بين هذه الالفاظ العربيّة وغير العربية من التباين والتنافر ، ومن ثم غير المنطقية في المدلولات ، حين بقائها على حالتها الثلاثيّة . بيد ان ذلك يتلاشى ، دون مِرية ، فتبرز المنطقيّة للعيان ، اذا بدأنا الاشتقاق من الثنائي ، وهو في هذه الحال الحرف « خَدْ » .

٢ — خدّ : جعل أُخدوداً في الارض يحفره مستطيلاً . « خدّوا لهم أُخدوداً » اي حفروه . خدّ السيلُ في الأرض : اذا شقّها في جريه . خدّ الدمعُ في خدّه : اثر فيه . خدّ الجملُ الشيءَ بنابه : شقّه . خدّد لحمُه : هزُل ونقص وتشنّج . تخدَّد : اضطرب من الهزال . تخدَّد القومُ :

(١) اللسان ٥ — ٣١٢ ي ي ؛ التاج ٣ — ١٧٠ ي ي ؛ القاموس ٢ — ١٨ ؛ Lane ص ٧٠٧ ي .

(٢) معجم Brown (عبري—انكليزي) ص ٢٩٣ .

(٣) معجم Dillmann (حبشي—لاتيني) ع ٦١٣ ي ي .

صاروا فِرَقاً . الأُخدُود : شقّ في الارض مستطيل غامض . الخدّ . الحفرة المستطيلة في الارض . الخدّان : الحفران في الوجه من المحجَر الى اللحى . الخدّ : الجدول ، الطريق . الاخاديد : آثار السياط . المخدود : الموسوم من الابل[1]

٣ — المعنى الاصلي في الثنائي « خدْ » الحفرُ والشق ، اي القطع ؛ ومجازاً : التأثير . ومنه التشنج ؛ ومن التشنج الضعف والهزال . ومن القطع ايضاً التفرّق .

٤ — من فكرة الشق الغامض في الارض توسّع المعنى بزيادة الراء تذييلًا ، في حرف « خدَر » — فجاء فيه مدلول القطع بحاجز ، وهو الستار أو الخِدْر . ومن مفهوم الخِدْر تولد معنى كل ما وارى عن النظر ، كالبيت ونحوه ، حيث تُحصَن ، أو تُقطَع عن الأبصار البناتُ والنساء . ومن ذلك صدرت دلالة التعجب والمنع والحبس والاقامة في محلّ .

٥ — وهذا ما يتضح به منطوق الحروف التالية : خدَر البنتَ : ألزمها الخِدْر ، اي منعها أو قطعها عن الخروج . خدَرَت البنتُ : لزمت خِدرها ، اي انقطعت عن البروز . خدَر الأسدُ في عرينه : لزِمه ، اي انقطع ممّا هو خارج عنه . خدَرت الظبيَّة عن القطيع : انقطعت عنه . أَخدَر بصَره : منعه عن الشيء ، اي قطعَه . الأَخدَر : فحل متوحّش ، اي منقطِع عن قطيع الجِمال .

٦ — من شَقّ الأخدود نجم النفوذ والتعمّق ، كما في الفعل العبري Hâdar . ومن التعمّق نشأ الغموض ؛ ومن الغموض الظلمة ؛ ومن الظلمة السواد ، ومن السواد الستر والخفاء . ومن ذلك الُخداريّ : السحابُ الأسود ؛ و — البعيرُ الشديد السواد ؛ و — الشعر الأسود ؛ و — الحمارُ الأسود . والعُقابُ الُخداريّة : لشدّة سوادها . والخِدْر : ظلمة الليل ؛

---

(١) اللسان ٤ — ١٣٩ ي ؛ التاج ٢ — ٣٤٢ ي ؛ Lane ص ٧٠٥ ي .

و — ستر يُمدّ للجارية في ناحية البيت ، والهودَج المستَّر ، فيواري مَن فيه عن العيْان .

٧ — ثم دلّ الخدْر على البيت عينه ، أو على عرين الأسد . وقد ورد في العبرية Hâdar بمعنى احاط ، اي ستر ، او بقي في غرفةٍ متوارياً عن الانظار . وفي الحبشية Hadara : سكن تحت خيمة ، او في بيت ، او نزل فندقاً ؛ واحتوى ، اي ستر الشيء في داخله . ويُراد في العبريّة بكلمة Hêdêr : الغرفة والمسكن والداخل . وفي الحبشية ، يُعنى بلفظة Mahdar : الخيمة ، والبيت ، والفندق .

٨ — من مدلول الشَقّ والخزّ والأثر في الجلد تولّد مفهوم التقلُّص والتشنّج ؛ ومنه الضعف والهزال ؛ ومن ذلك التحيّر ادبياً . ومن فكرة القطع نتج معنى الامتناع عن الحركة ؛ ومنه الثقل والفتور والكسل . ولهذا ورد : خدِرت الرِجل : ثقلت من الامتناع عن المشي ، ومن جراء القعود المستطيل . فيقال : خدّرتهم المقاعد : اذا قعد طويلاً حتى خدِرت رجلاه اي ثقلتا . الخَدرَة ثِقل الرجل ، لامتناعها عن المشي . الخَدَر : امذلال يغشي الاعضاء لعدم الحركة ، و — الفتول والكسل . الخادِر : الفاتر .

٩ — من انقطاع الهواء عن الحركة يصدُر الحرّ . فيقال خدِر النهار : اذا سكنت ريحه واشتد حرّه . وخدِر البرد : اشتدّ . ومن الامتناع نشأ الخدَر بمعنى الغيم والمطر والبرد . لان ذلك يُخدر الناس في دورهم . والخدِر : الندي البارد ، واليومُ ذو الغيم .

ت ـ هلَب

يسوغ القول ان هذا الحرف يكاد يكون عربياً صرفاً · اذ لا ذكر له ، ما خلا العربية ، الّا في السريانية ، بمعنى سخر ، شتم · وقد يكون دخيلًا فيها من العربية ، لعدم وجوده في كل المعاجم · ·

هذه هي معاني « هَلَب » الثلاثي · ويرى المطلّع اي تباين وتنافر شاملها · بيد ان هذه اللامنطقية تمّحي بقوة الثنائية ·

هلب — هلَبه : نتَف هُلبَه ، وهو الشَعر النابت على اجفان العيون · هلب القومَ بلسانه : نال منهم نيلًا شديداً · هلب ذَنبَ الفرس : جزّه · هلبت السماء القومَ : بلّتهم بالندى · هلَب الفرسُ : تابع الجريَ · هلِب : كثر شَعره · اهتلب السيفَ من غمده : أصلتَه · ليلة هالبة : مطيرة · الهَلِب : ذو الهلَب : وهو وفرة الشعر · هَلبةُ الشتاء : شدة برده · عامٌ أهلب : خصيب ، لكثرة مطره · الهلّابة : الريح الباردة مع قطر · امرأة هَلُوب : التي تتقرّب من زوجها وتحبه · وامراة هَلُوب : التي تُقصي زوجها وتبغضه · حديث : رحم الله الهلوب؛ لعن الله الهلوب · هو هلّاب : هجّاء؛ ومهلوب : مهجوّ · الأهلب : الكثير الشعر؛ و— العام الغزير المطر؛ والاهلب : الذي لا شعر له[1] ·

تنسيق وتعليل

مفروض في الثنائية ان أصل المفردات حرفان · فيجري التطوّر بزيادة حرف ثالث عليها · وهذه الاضافة تكون اماً في البدء تتويجاً ، واماً في الوسط اقحاماً ، واما في الآخر تذييلًا · وفي كل هذه الاحوال ،

(١) اللسان ٢ — ٢٨٥ ي ي ؛ التاج ١ — ٦١٦ ي ؛ Lane ص ٢٨٩٧ ي ·

ينجم عن الزيادة في المبنى زيادة وتوسّع في المعنى ، مع بقاء اللحمة المعنويّة بين الثنائي والثلاثي ، كما هي مستمرة بين الثلاثي والرباعي وما فوقه من المزيدات .

على اننا ، بفضلِ تقصّيات شخصية ، توّصلنا الى الوقوف على ان الثلاثي غير ناشئ عن ثنائي واحد ليس الّا ، بل عن ثنائيين او ثلاثة . وقد أوردنا في كتابنا « المعجميَّة العربية » شواهد اثبتت هذا القول : من ذلك ان أصل عِلِم : عَلْ وَلَمْ ، وان ضعف صادر من ضَفْ وَضَعْ ، وطلع من طَع وطل ، ونهر من : نَهْ ، ونَرْ ، ومَرْ . فعلى هذا النحو نقول ان الثلاثي « هَلَب » المبحوث عنه الآن ناجم عن ثلاثة ثنائيات بينها وبينه لحمة معنوية ، نظراً الى كل مدلول من مدلولاته ، فضلًا عن انه بذلك يبطل ما فيه من الضدّية . ودونك الكيفيّة .

« هَلَب » مشتق اولًا مِن « لَبْ » بزيادة الهاء تتويجاً ، ثانياً من « هَبْ » بانزال اللام اقحاماً ، ثالثاً من « هَلْ » باضافة الباء تذييلًا .

١ — هَلَب » كثُر شَعره ، من الثنائي « لَبْ » ومنه اللُّب واللباب : مادة الجوز واللوز وغيرهما ، الغليظة المتلبدة ، المشحمة . واللُّب ايضاً : القلب ، لتراكم الشحم عليه . واللبّة واللَّبب : اللحم المتجمّع في اعلى الصدر ، وفيه معنى الوفرة والكثرة . ومن التراكب والتلبد جاء مدلول الملازمة والمتابعة في كل شيء ، منها متابعة الفرس جَريَه .

٢ — « هلَب » : نتف ، جزّ . ومجازاً : نال من القوم نيلًا شديداً ، كأنه نتفَهم . وهو صادر من « هَبْ » الدال على القطع ، اذ النتف والجزّ ضرب من القطع . فيقال : هَبّ السيفُ الشيَ : قطعه . هبَّب الثوبَ : خرقه وقطعه . تهبَّب الثوبُ : بلي ، تقطَّع . الهبّة القطعة ، من الثوب . ثوب هبائب وأهباب : متقطّع . وبين الثنائي والثلاثي لحمة معنوية ظاهرة . وبهذا المعنى جاء اهتلب السيفَ من غمده : أصلته ، اي فصله وقطعه عنه .

٣ — « هَلَب » : هلبَت السماء القومَ : بلّتهم بالندى . ليلة هالبة : مطيرة . هُلبَة الشتاء : شدّة مطره . وعام اهلب : خصيب ، لكثرة مطره . ومن المطر ، البرد . الهلّابة : الريح الباردة مع قَطر . وهذا الثلاثي بمعانيه هذه آتٍ من الثنائي « هَلْ » . وهاك مدلولاته : هَلّ المطر : اشتدّ انصبابه . هَلّ اللهُ السحاب : جعله ينهلّ . انهلَّ المطرُ : اشتدّ انصبابه . تهلّلت العينُ : سالت دموعها . الهَلَل : أول المطر . الهلل والاهاليل : الامطار .

٤ — « الأهلَب » : الذي لا شَعر له ، كانه « منتوف الشعر او محلوقه » من « هَبْ » . هبَّ السيفُ الشيءَ : قطعه . والهَبَّة : مضاء السيف في الضريبة . هبّب الثوبَ : قطعه .

٥ — « الأهلب » : الكثير الشعر . من « لَبْ » الدالّ على الكثرة والوفرة بفعل التراكب والتلبُّد . وبهذا تزول الضديّة بين المعنيين .

٦ — « الهَلُوب » : المرأة المتدنية من بعلها فتلازمه بالمحبّة . من « لَبْ » بمعنى لازم ، لاصق . واللبّة : المرأة اللطيفة ، الحسنة العشرة مع زوجها . وانظر اي تناسب بين الثنائي والثلاثي .

٧ — « الهلوب » : المرأة المتباعدة عن زوجها ، اي المنقطة عنه بالتجافي والبغضاء . من « هَبْ » المراد به القطع والفصل . وبهذا تضمحل الضديّة . وفي هذه المعاني كلّها تتجلّى المنطقيّة بفضل الثنائيّة .

ث ـ من الابل الى الابيل واليوبيل

العربية :

أَبل العشبُ : طال فاستمكنت منه الإِبل ؛ و — الشجرُ : نبت في يبسه خضرة تختلط به فيسمن المال عليه ؛ و — فلاناً : جعل له ابلًا سائمة؛ و — الرجلُ : كثرت ابلُه ؛ ابلت الإِبل والوحش : جزأت عن الماء بالرطب ؛ وأَبل : تنسَّك ، وأبل بالعصا : ضرب بها ؛ وأَبل فلاناً : غلبه ، وأَبلَت الأنعام : كثرت ؛ وأَبلت الإِبل : هملت فغابت وليس معها راع؛ أو تأَبلث اي توَحشت ؛ وأَبل الرجلُ : حذق مصلحة الإِبل . أَبِلَ القَومُ : مطروا مطراً وابلًا . أَبلَت الإِبل أبوُلا : اقامت في المكان ، اي امتنعت عن الخروج الى غيره . الأُبول : طول الاقامة في المرعى والموضع . أَبّل الرجلُ : كثرت إبله . أَبّل الميّتَ : ابّنه ، اي اثنى عليه بعد موته . أَبّل عنه : امتنع . أبّل الإِبل : سمَّنها . أُبّلت الإِبلُ : أُقتنيَت . تَأَبّل : اتّخذ إِبلًا . الآبلة : الأخضر من حمل الاراك . الابَّالة ، والإِبانة (بالتخفيف) والأُبل : الحزمة الكبيرة من الحشيش . « ضغثٌ على إبَّالة ، اي بليَة على بليّة أخرى كانت قبلها ؛ أو خِصب على خصب . كانه ضدّ . جاء في إِبالته : في جماعته . الإِبالة : ولاية الإِبل والقيام على المال . الأَبل : الرُطب . الأبل : العشب الاخضر؛ والثقل والوَخامَة . الأُبل : الحزمة من الحشيش او الحطب . الأُبُل، الخلفَة ، وهي ما ينبته الصيف من العشب . الأَيبُلَة : السحاب الذي يحمل المطر . الإِبل : الجمال . الأَبّال : من يرعى الإِبل ويحسن القيام عليها . المأبلة : الارض ذات الإِبل . الإِبلة : العداوة . الأُبُلّة : العاهة والآفة : الأَبلَة، الثقل والوخامة من الطعام . الأَبلَة : الحقد ، والثقل من الطعام ؛ والوخامة ، والعاهة .

الأُبيــل : الحزين . الابابيل : القطيع من الإبل ، والخيل ، والطير . جاءت إبلٌ ابابيل ، اي قِطَع ؛ وفيها معنى الكثرة . الطير الابابيل : الطيور المتتابعة قطيعاً خلف قطيع[1] .

وَبَل ، معاوِر أبل

العربية :

وَبلت السماء : أمطرت ، وبل فلاناً بالسوط والعصا : ضربه ، وَبَل الصيد ، طرده شديداً ، وبله بالسياط : تابعها بالضرب عليه كالوابل . وَبل المرتع : وُخم . وَبَل الشيء : اشتدّ . وابله موابلة : واظبه . الوابل : المطر الشديد الضخم القطر . الوابل : شدة الركض والعدو ، على التشبيه بشدة المطر . الوابِل : الرجل الجواد . الوَبل : المطر الشديد الضخم القطر . الوَبلة : الناقة التي تدرّ بعد الدفعة الشديدة . الوَبلَة أو الأَبلَة : التخمة والوخامة . أرض غمِلة وَبِلة : وبيئة . الوبيل : الشديد . عذاب وبيل : شديد . الوبيل : العصا الغليظة ؛ و — الحزمة من الحطب ؛ و — مُدق القصّار ؛ و — المرعى الوخيم . أبيل على وبيل : شيخ على عصا . المِيبَل : ضفيرة من قدّ مركّبة في عود يُضرَب بها الإبل[2] .

العبرية :

(لا وجود فيها للمجرّد Yâbal)

Hôbèl (المزيد أفعَل) : قاد ، أتى ب ، قدّم ، حمّل .

Yâbôl و Yubal : مجرى ، قناة ، جدول ، نهر .

---

(١) اللسان ١٣ — ٢ ي ي ؛ التاج ٧ — ١٩٨ ي ي ؛ القاموس ٣ — ٣٢٥ ي ؛ Lane ص ٧ ي ي .

(٢) اللسان ١٤ — ٢٤٥ ي ي ؛ التاج ٨ — ١٥١ ي ؛ القاموس ٤ — ٦٣ ؛ Lane ص ٣٠٤٨ .

Senat hayyôbêl : (ش) سنة الرجعة والغفران واعتاق العبيد (كل خمسين سنة) عند اليهود . ومنها كلمة يوبيل المعرّبة .

Yebûl : غلّة الارض .

Têbêl : الارض المثمرة ، الاتية غلّتها ، العالَم ، المسكونة[1]

الاكّديّة

Abâlu : أتى ب ، قاد .

Tabâlu : الارض . ومنه Eli Tabâli : على الارض ، برّاً خلافه : Eli nâri (nahri) على النهر ، نهراً .[2]

السريانيـة :

Yibêl : وبل ، امطر . (نادر الاستعمال)

Yabbêl : أجرى ، نسَل ، أولد، سلسَل القبيلة ، نقل ، أوصل ، قلّد ، أخبر ، أرشد ، أصدر ، اشتق .

Yablâ : شطّ ، شاطىء ، نهر .

Myablânâ : موّصل ، ساعٍ ، بريد ، تاجر .

Yûbâlâ : سلسلة ، تسليم ، ذرّية ، قبيلة، زمان ، تاريخ .

Sâtâ d'yubâlâyê : سنة الرجعة ، يوبيل .

Maweblâ : حِمل ، وِقر ، (كارة)

Têbêl : الارض الآتية الغلّة ، العالَم ، المسكونة[3] .

---

(١) Brown ص ٣٨٤ ي . Gesenius ١ – ٥٦٠ ي .

(٢) معجم Bezold (أكّدي – الماني) ص ١١ ي .

(٣) معجم Brokelmann (سرياني-لاتيني) ص ٢٩٣ ي ؛ أودو ١ – ٤٢٠ ي .

بال

العربية :

بال : خرج بوله ، و — ذاب الشحم ، و — انفجر الماء .
البال : الخاطر ، النفس ، القلب[(١)] .

بلا ، بلي

بلا : اختبر ، جرّب ، امتحن . أَبلَى : أخبر ، ابتلى ، استخبر .
بُلِي بالشيء : ابتُلِي ، البلاء يكون في الخير والشر . ابتليته بلاءً حسناً وبلاء سيئاً والله تعالى يبتلي بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً . التبالي الاختبار .
بَلِيَ الثوبُ : عتق . البليّة : الناقة التي أضنيت وصارت نضواً هالكاً . والبليّة : الناقة تُعقل عند قبر صاحبها ، فلا تُعلَف ولا تُسقَى حتى تموت . المبلّيات : النسوة يقمن حول راحلة الميّت ، فينحن عليه اذا مات أو قتل[(٢)] .

السريانية :

Blâ : بلي ، عتق ، خلُق ، فسد ، شاخ ، هرم .
Blâyâ : خرقة ، خلَق .
Bâlâ : قلب ، خاطر ، عقل ، بال[(٣)] .

العبرية :

Bâlâ : بِلي ، عتُق ، شاخ ، هرِم[(٤)] .

---

(١) اقرب الموارد (للشرتوني) ١ — ٩٨ .
(٢) اللسان ١٨ — ٩٠ ي ي ؛ Lane ص ٢٥٥ ي ي .
(٣) منّا ص ٦٤ ي ؛ Payne-Smith ١ — ٥٣٧ ي ي ؛ أودَر ١ — ٧٦ .
(٤) Brown ص ١١٥ ؛ Gesenius ١ — ٢٠٨ .

الحبشية :

Balaya : بلي[1] .

بَلّ

العربية :

بَلَّ : ندّى . بلّ الرحم : وصلهـا . حديث نبوي : « بلُّوا ارحامكم ولو بالسلام . » لمَّا رأوا ان بعض الاشياء يتصل ويختلط بالنداوة، ويحصل بينها التجـافي والتفرق باليبس ، استعاروا البَل بمعنى الوصل ، واليَبَس بمعنى القطيعة . منه المثل : « لا توبِس الثرى بيني وبينك . » بَلّ من مرضه : شفي وصحّ وذلك ان الحمَّى تزول بالعرق ، فينجو المريض ، فاطلقوه على الشفاء من كل مرض . ومن باب التوسّع دل « بَلّ » على النجاة من كل شدة وضيق . والبَلَل والبَلال : الندوّة[2] .

السريانية :

Bal : بَلّ ، نقع ، خلط ، افسد ، بلبل .

Balîlâ : غارق ، منهمك ، ملطَّخ .

Bulbâlâ : بِلَى ، فساد ، ثورة[3] .

العبرية :

Bâlal : ندّى ، علف ، مزَج ، خلط .

Balîl : علَق ، خَلْط ، مزيج[4] .

---

(١) Dillmann ع . ٤٩١ .

(٢) اللسان ١٣ — ٩٧ ي ي ؛ Lane ص ٢٤٣ ي ي .

(٣) منّا ص ٦٤ ؛ Payne-Smith ١ — ٥٢٧ ي ي ؛ أودو ١ — ٧٦

(٤) Brown ص ١١٧ ؛ Gesenius ١ — ٢١١

الأكّدية :

Bilulu و Balâlu : خَلط ، مزَج .

Bullu : مزيج ، خَلط[1] .

تنسيق وتعليل

١ — كل هذه الأحرف وهي : أَبل ، وَبل ، بال ، بلا ، بلي ، في العربية ، والتي تنظر اليها في الاخوات الساميَّة ، صادرة من الثنـائي « بَل » المراد به : الندى والنقع . والامر واضح في العربية في المشتقات التابعة المتضمّنة معناة النداوة والرطوبة والمائية ، ومنها الخضرة . فيقال أَبلَت الإِبل والوحشُ : جزأت عن الماء بالرُطب ، اي قام لها الرطب مقام الماء لما فيه من المائية . أَبل العُشب ، وهو الرُطب : طال ، لما فيه من الري ، والّا يبس ، ولنموّه استمكنت منه الإبل . أَبَل الشجرُ : نَبَت في يبسه خضرة تختلط فيه ، فيسمن المال عليه ؛ وفي الخضرة رطوبة ومائيَّة . الأَبل : الرُطب . الآبِلة : الأخضر في حمل الاراك . الأُبل : الحزمة من الحشيش والحطب . الأُبل : الخِلفَة : وهي ما ينبته الصيف من العشب . الإِبالة : الحزمة الكبيرة من الحشيش او الحطب . الإِبَالة ، والإِبَّالة : الخصب . يقال «ضغثٌ على ابّالة» . اي بليّة على بليّة ، أو خصب على خصب . الأَصل هو الثاني . لان الخصب ناجم عن غزارة الزرع ، وهذه تكون بالمطر . وأما بمعنى البليّة فذلك من قبيل التشاؤم والتهكم ؛ كما يقال « خير على خير » والمراد : شرّ على شرّ . الإبل : الجمال . سمّيت بهذا ، لأكلها أو اجترائها بالرُطب عن الماء . والى اليوم لا يزال القوم في بلاد نجد يقولون « البلّ » عوض الإبل . أُبِل القوم ، مطروا مطراً غزيراً . الأَبل : الحزمة من الحشيش أو الحطب ، أو هو العشب الاخضر . الأَيْبُلة : السحاب الذي يحمل المطر .

---

(١) Bezold ص ٩٠

٢ — من «الإبل» اشتقت الافعال المرتجلة الصادرة من اسم العين هذا، وهي أَبل فلاناً : جعل له إبلًا سائمة . أَبَل : كثرت أَبِله . أَبِلَت الأَنعامُ : كثُرت . أبِل الرجلُ : حـذق مصلحة الإبل . الإبالة: سياسة الإبل . أَبَّل الإبِلَ : سمَّنها تأبَّل : اتخذ إبلًا . إئتَبل : ثبت على رعيّة الإبل . الأَبَّال : من يرعى الإبل . الاباييل : القطعان الكثيرة من الإبل أَولًا ، ثم من الخيل ، ثم من الطيور .

الأَبيل

٣ — في العربية كلمة « أبيل » وهـذا ما ورد عنها في المعاجم : « الأَبيل » : الراهب ، الراهب الرئيس ، رئيس النصارى ، صاحب الناقوس . أَبيل الابيلين : المسيح ابن مريم . الأَبيل : سُمِّي بذلك لتأَبله (اي تبتّله). ومنه أَبل يأْبل : اذا تنسَّك وترهب[1] .

قلت : لفظة « أبيل » سريانية النجار ، ودونك ما جاء في شأنها في المعجمات السريانية .

Ebal : أبل ، ترَّهب ، نسك ، حزن ، اغتم ، صام .

Abîlâ : أبيل ، زاهد ناسك ، حزين ، مغموم ، صائم .

Eblâ, abîlûtâ : حزن ، غمّ ، زُهد ، صوم ، حداد .

Eblê : شدائد كوارث .

Abîlânê : موضع كان يبكي فيه الزهّاد[2] .

هـذه المفردة مشتقة من الثنائي « بَلْ » كما رأينا في مختلف الالسنة السامية . وفيه معنى النداوة والماء ؛ ومن الماء الدموع ، وبالدموع البكاء ، والبكاء نتيجة الغم ، والغم من الشدائد ، والحزن الادبي والديني من

(١) اللسان ١٣ — ٦ ؛ Lane ص ٨ ي .

(٢) منا ص ٣ ؛ Payne-Smith ١ — ١٥ ؛ أودو ١ — ٤ .

من افعال التوبة والتكفير عن المآثم عند الخطأة ؛ وعند غير الخطأة ، من جملة ممارسات التقشف والصوم والزهد والترهب . وفضلًا عن هـذه كلّها ، من شرائط الترهب الصَرُورَة ، اي التبتُّل والتعفف . والى ايامنا هذه ، في لغة اهل دثينة ، في جنوب جزيرة العرب ، يراد بفعـل « أبِل » البكاء والنحيب على الميّت . : « مات ابنها فأبلت عليه أربعين يوماً »[1] وفعل « أَبّن الميّت » اي اثنى عليه بعد وفاته ، ليس من « أبن » بل من «أبل». والنون مبدلة فيه من اللام . والاصل في أبل ، ومنه أَبَن ، النحيب ، اي ذرف العبرات ، وهي الماء الدال عليه الثنائي « بَلْ » وليس شيء من ذلك في « بَنْ » واذ كان يرافق البكاء والنحيب اقوالُ اسف وتوجع ومديح، تقيَّد الحرف ، في الفصحى ، بمعنى الثناء على الميت ، بعد ان ابدلت الـلام بالنون . وهَبَل بمعنى ثكل آتٍ من أبل . لان الثكلى تحزن وتتفجّع، وتبكي وتنحب بذرف الدموع . والهاء في هبَل عوض الهمزة[2] .

«الأبيل» اذاً ، في السريانية ، اصلها الباكي أو ساكب الدموع ، وهي الماء . واشتُق منه الحزين ، والمتنسِك ، والمتبتِل ، والراهب ، ورئيس الرهبان ، ورئيس النصارى ، وحتى ضارب الناقوس ، لان الذي يدق الجرس في الاديرة هو راهب .

٤ — تجري الزيادة على الثنائي « بَلْ » بالواو بدل الهمزة في العربية ، وبالياء في السريانية والعبرية . اما الاكدية فقد سقط فيها حرف الحلق . فتولّد من ذلك المثال الواوي واليائي . فورد : وبلَت السماء : امطرت الوَبل . (وبالهمزة) أُبِل القومُ : أمطروا مطراً وابلًا . الوَبل : المطر الضخم القطر ، ومثله الوابِل .

٥ — وفي « وَبل » أُضيفت الى فكرة المائيّة المتضمّنة في المطر، فكرة

---

(١) Glossaire datinois, par de Landberg, Vol. I, P. 7-8

(٢) اللسان ١٤ — ٢١ ؛ القاموس ٤ — ٦٧

الهطول والجريان بشدّة . من ذلـك جاء مجازاً : وَبَل فلاناً بالسوط والعصا : انزل فيه الضرب نزول الوابل . ووَبَل الشيءُ : اشتد . ووابَلَه: واظبه . ووَبَل الصيدَ : طرده شديداً . الوابِل : شدة الركوض والعدو، على التشبيه بشدة المطر . والوابِل : الرجُل الجواد ، اي المعطي بكثرة كوابِل المطر . الوَبَلَة : الناقة التي تدرّ بعد الدفعة الشديدة . الوَبِيل : العصا الغليظة . وأَبَل (بالهمزة) بالعصا : ضرب بها . ويقال : أبيل على وَبيل : شيخ على عصا . فاتخذ الأَبيل بمعنى الشيخ ، لان الوقورين بين الرهبان او الابيلين هم الشيوخ منهم . والوبيل ايضاً : مدق القصّار ، والحزمة من الحطب . والميبَل : السوط يضرب به الابل .

٦ – الوابـل هو المطر الشديد الضخم القطر ، فهو الغزير . ومن وفرة المطر تتولّد المستنقعات بما تحويه من الرطوبة والعفونة ، ممّا يتأتى عنه الوخامة والثقل . فجاء من هذا القبيل : وَبَل المرتع : وخم . الوَبْلَة والأَبْلَة : التخمة والوخامة . ارض غَمِلَة وَبِلَة ، وبيئة . الأَبْل (بالهمزة) : الثقل والوخامة . والأُبلَة : الثِقَل والوخامة من الطعام . يقال : اخذته أبلة الطعام ووَبْلَتُه : تخمته . وطعام وبيل : يُخَاف وَبَاله ، اي مغبّته ، وذلك ينتج من عدم موافقة المناخ للبدن . من ذالك عسر الهضم ، ومنه الآفة والعاهة . ومن الوخامة أو العاهة البدنيّة ينتقل المعنى الى العاهة الادبيّة ، وهي العداوة والحقد ، وهما نوع من الثقل والوخامة في العقل والقلب .

٧ – عن « بَلْ » العربية نجم معنى الوصل . ومنه الحديث النبوي بلّوا ارحامكم ولو بالسلام » . فمن النداوة ينشأ الاتصال والمزيج ، ومن المزج والخلط يصدر الفساد ، ومنه الفساد الادبي ، اي البلبلة والثورة . وهذا ما ورد في السريانية : Bal : مزَج ، خلط ، افسد ، بلبل . وفي العبرية : Bâlal : ندّى ، مزَج ، خلط . وفي الاكدية : Balâlu : خلط، مزج .

٨ – من هطول المطر بشدة يتولّد الجريان والنسيل ، والجداول والانهر. وهذا ما نُقِل في السريانية : Yabbêl اجرى ؛ ومجازاً : نقل ، اوصل . وفي العبرية : Hôbêl : اتى ب ، قاد . وفي الاكّدية Abîlu اتى ب ، قاد . ومنه كلمة «اليوبيل» المعرَّبة عن العبرية في عبارة Sènat hay-Yôbêl (ش)، وفي السريانية : Sâtâ d'yubâlâyê (ش)، وهي تدعى سنة الرجعة والغفران .

اليوبيل

٩ – لكن ننتهز الفرصة لابدآء رأينا في اصل كلمة «يوبيل» الحقيقي . فقد اختلفت اقوال المفسّرين في منشأ هذه المفردة . على ان التلموديين رأوا اشتقاقها من لفظة «الابل»[1]، مع ان Hôbêl الفعل العبري معناه : اتى ب، قاد ، والاسم منه يُطلَق على الكبش او الخروف . الّا اننا نقترح طريقة للتوفيق بين هذين المتضاربين ظاهرياً ، وهما «إبل و Yôbêl» .

كثيراً ما يصادَف في الالسنة الساميَّة الفاظ تدلّ على معنى عام في الاصل الساميّ ، وبعدئذٍ تتطوَّر هذه المعناة تطوَّراً خاصاً في كل من هذه الالسنة . هاك على قولنا امثلة : «« لحم » يراد به في الساميَّة الام : القوت مطلقاً . ثم تقيَّد في العبرية والسريانية بدلالة الخبز ، وفي العربية بمنطوق اللحم ، اي المادة الحمراء في الحيوان، وكلاهما ممّا يقتات به[2] . هناك لفظة « الطَلا » المقصود منها في الساميَّة « الصغير او القليل من كل شيء» . فحصرت في السريانية بمعنى الصغير من البشر ، اي الصبي والفتى « طَليا » ، وفي العبرية الحمل «طالي» (وفي العربية الفصحى والعامية عينها : طَلِيّ حمل)، وفي الحبشية التيس Tôli (ط)، وفي العربية الطَلُو والطلا : وَلَدُ الظبي[3] .

(١) Vigouroux, dict. de la Bible, Vol. III, C. 1754.

(٢) المعجمية العربية الخ ، لمرمرجي ، ص ٩٨ ي .

(٣) مثًا ص٢٨٣؛ Brown ص٣٧٨؛ البستان ٢-١٤٦٧ ي؛ Dillmann ع ١٣١٦

فكذا الحال ، على رأينا في « إبل Yôbêl » فان الحرف الذي يشملها هو « الوَابِلَة » : نَسْل الابل والغنم[1] . والالفاظ الثلاثــة صادرة من الثنائي « بَلْ » الدال على النداوة والرطوبة ، ومن ثم على الخضرة والعشب اي « الأَبل » . لان الخاصة المشتركة بين البعران والخرفان ، او بين الإبل والكباش ، هي ان هذه الحيوانات من آكلات العشب فعرّفوها جميعها بهذه الصفة . كما تطلق كلمة « الجَزُور » على الشاء والنوق ، لانها تجزر ، اي تذبح[2] . وكما تدعى الإبل والشاء « نَعَماً » ، لانها المــال الراعية ، وتُعتَدّ كلها نعمةً اي خيراً من الله[3] . وتسمّى ايضاً « هَدياً » لانها تُهدَى اي تساق الى الحرم[4] .

في العربية تطوّرت « إِبل ووَابِلة » تطوراً طبيعياً متساوقاً ، اعني من معنى الرطوبة الى المائية ، ثم الى الخضرة ، فالعشب وآكلاته ، والخصب ، والمطر الشديد ، والوخامة ، والثِقل ، وما اشبه . لكن « Yôbêl » لم يتوسّع على هذا المنوال في العبرية ، بل بعد صدوره من « البَل » ، وبلوغه الى دلالته على الخروف او الكبش ، انتقل الى معنى « القَرْن » مما لم يمكن حدوثه في كلمة « وابل او وابلة » ؛ لان الجمال ليست من ذوات القرون ، اما الكباش فمنها . واذ كانت القرون تُتَّخَذ ابواقاً ونواقير سمّى العبريون البوق اولاً Qêrên hay-yôbêl اي قرن الكبش ، ثم لكثرة المداولة ، حذِفت Qêrên وبقيت Yôbêl وحدها مراداً بها البوق المرادف لكلمة Sôfâr (ش) اي صافورة[5] .

وقد أُستُعمِل Yôbêl اي البوق ، عند اليهود ، في حلف جبل سيناء ،

---

(١) اقرب الموارد ٢ — ١٤٢٣

(٢) اللسان ١٩ — ٢٣٥ ي ؛ Lane ص ٣٠٤٢

(٣) القاموس ١ — ٣٨٩ .

(٤) اللسان ١٦ — ٦٤ ؛ Lane ص ٣٠٣٥

(٥) Brown ص ١٠٥١

يوم نزول الشريعة، وفي اريحا، عند سقوط اسوارها ، وفي الاعياد والحفلات في الهيكل ، وفي اوقات الحروب عموماً . وكان يُستَخدَم ايضاً للتبشير بدخول سنة الرجعة والغفران ، وهي سنة فرح وابتهاج ، فاطلق عليها اسم Senat-hay-yôbêl (ش)، والمعنى الحرفي : « سنة الكبش » الذي انتقل فحواه الى القرن، ومن القرن الى البوق، ومن البوق الى التباشير والتهاليل والمسرّات، ومنها الى السنة المدعوّة « سنة اليوبيل » .

ولنا مثال في الفرنسية على مثل هذا التوسّع في كلمة Olifan او Eléphant . فانها جازت ، مجازاً وبالتتابع ، من دلالتها على الفيل الى سنّه ، وهو العاج ، Ivoire ، ومنه الى القرن المصنوع من العاج ، (Corne d'ivoire) لا بل الى معنى القرن من باب الاطلاق[1] .

١٠ – من فكرة الجريان والنقل ، نشأ في السريانية المعاني المتوسّعة والمجازية في فعل Yabbêl : نسل ، اولد ، سلسل القبيلة ، ثم ارشد ، اخبر ، قلّد ، ترجم ، اشتقّ ؛ ومنه Myablânâ : مُوصِل ، ساعٍ ، بريد ، تاجر .

١١ – من الاتيان صدر الاتاء او الإثمار ، من ذلك في العبرية : Yebul : غلة الارض . ومن الغلة جاء اسم الارض في السريانية Tèbêl : الارض المغلّة والمسكونة ، لان الارض المغلّة الخصبة يكثر سكانها . وكذا في العبرية Têbêl : الاض المثمرة ، المسكونة . وفي الاكدّية Tabalu : الارض فيقال . Eli tabali على الارض ، براً .

١٢ – من « بَلْ » الثنائي اشتق الاجوَف « بال » الدالّ على الندى والرطوبة والماء . ومن المائيّة والسيلان نشأ معنى ذاب الشحم وانفجر الماء .

---

(١) راجع المصادر الآتية :

Hastings, dict. of the Bible, Vol. IV, p. 323 ss
Vigouroux, dict. de la Bible, Vol. III, c. 1750 — 54
Gesenius, Thesaurus, II, p. 560 s.

أما لفظة « البال » ويقابلها Bâlâ في السريانية — فنظن ورودها في مادة « بَالَ » في غيرِ محلّه . اذ شتّان ما بين المدلولين . وعلى رأينا انها مقلوبة عن « لُبّ أو لَبَب » الوارد في الاكدية بلفظ Libbu ، وفي العبرية Lêb ، وفي السريانية Lebbâ ، وفي الحبشية Lebb . وموطن الكلمة الطبيعي في مادة « لَبّ » . واللحمة المعنوية هناك ظاهرة للعيان ، كما هي ايضاً في كل الأَلسنة الاخوات . والشاهد على ذلك ان « بالًا ولبًّا أو لبَباً » مترادفان . من ذلك « البال » : رضآء العيش ، أو راحة الفكر ، أو القلب ، أو النفس[1] . فيقال : فلان في بال رّخي ، ولبَب رّخي ، اي في سعه وخصب وأمن . وفلان في لَبَب رّخي ، اذا كان في بال واسع[2] . أما Bâlâ السريانية ، فيجدر القول فيها انها معرّبة عن « البال » العربية ، أو مقلوبة عن Lebba .

١٣ ـــ بلا ، بُلِي ، بَلِي .

رأينا من الفحاوي الواردة في اللغات الساميّة ان النداوة أو الرطوبة تنتج الاتصال والمزج والفساد . وما مآل الفساد الّا البِلَى . ولهـذا نشأ الناقص بمختلف معانيه . فالبِلَى أو العُتق لا ينتهي بالاضمحلال الّا تدريجاً . فاوله الضنك والعيآء الناشى عن الاختبار والعسر والمحنة . من ذلك : بلا : اخبر ، جرّب ، امتحن . والبلآء يكون في الشر والخير . ومنه البليّة : الناقة التي اعيت وصارت نضواً هالكاً وبَلِي : عتُق ، خلَق ، شاخ ، هِرم ، في كلٍّ من العربية ، والسريانية ، والعبرية ، والحبشية . ومنه البليّة : الناقة التي تُعقّل عند قبر صاحبها ، فلا تُعلَف ولا تُسقّى حتى تموت . ومنه المبلّيات : النسوة يقمْن حول راحلة الميّت ، فينحن عليه اذا مات أو قُتِل .

---

(١) اللسان ١٣ — ١٨ .

(٢) التاج ١ — ٦٦٧

ج - رَجَم والرَجم

الرجم ، في العرف العام ، ضرب من القتل كان معروفاً في غالب المجتمعات البدائية ، ونازلا منزلة القصاص المألوف المحكوم به على المجرمين جرم الخيانة ، أو الاعتداء على المصلحة العامة ، او انتهاك حرمة القدسيّات .

كان الرجم نادراً في البلاد الاغريقية . ولم يكن له ذكر بين الرومانيين ، الّا عند هيجان الشعب ، خلال الفتن والمشاغب . أما اليهود فكانوا يعتدّون الرجم سنّة شرعيّة . وقد عُرف الرجم عند العرب في الجاهلية والاسلام ، كما سوف يبين ادناه[1] .

* * *

اذا سعينا في وجود مقابل لكلمة « رَجَمَ » في اللغات الاوربية ، قديمها وحديثها ، ألفينا في اليونانية lithoboleo ، وفي اللاتينية lapidare ، وفي الفرنسية lapider ، وكذلك في اخواتها : الايطالية ، والاسبانية ، والبرتغالية ، وليدات اللاتينية . وفي الانكليزية to stone ، وفي الالمانية steinigen . وفي كل هذه الالسنة نرى افعالا ارتجالية ، اي مشتقة من اسم عين ، وهو الحجارة الدال عليها في اليونانية lithos ، وفي اللاتينية lapis ، وفي الانكليزية stone ، وفي الالمانية Stein . فهل الامر كذلك في « رَجم » العربية واخواتها الساميّة ؟ هذا ما سيظهر في تضاعيف هذا البحث . فنسرد المادة في مختلف اللغات الساميّة ، وبعد ذلك ننسّق تنسيقاً منطقياً الالفاظ والمعاني ، الظاهرة ، لاول وهلة ، غير منطقية .

العربية : رَجَمَه : قتله ؛ و—قذفه ، و—طرده ، وشتمه . رَجم القبرَ : علّمه . ويقال : جاء يرُجم : اذا مرّ وهو يضطرب في عدوه . ورجم

(1) Vigouroux, dict. de la Bible, IV, c. 88 ss
Hastings, dict. of the Bible, I, p. 572

الرجلُ : تكلّم بالظن . رجم بالغيب : تكلّم بما لا يعرفه . ورَجم القبرَ : وضع عليه الرجمة . راجمه مراجمة : رمى كلُ واحد منهما الآخرَ بالحجارة . وراجمه بالكلام : غالبه باشد مساجلة . راجم زيد عن قومه : ناضل . تراجموا بالحجارة : تراموا بها . تراجموا بالكلام : تسابّوا . ارتجم الشيء : تراكب بعضه على بعض . الرِجَام : الهضاب ، واحدتها رجمة ، و—المرجاس ، و—ما يبنى على البئر ثم تعرض عليه الخشبة للدلو . الرجائم : الجبال التي ترمى بالحجارة . الرَجم : التكلّم بالظن . يقال : رجماً بالغيب . وصار فلان رجماً ، اي لا يوقف على حقيقته ؛ و—النديم والخليل ، و—ما يرجم به . الرَجم : البئر ، والرَجم : القبر . يقال : غيَّب الميّت في الرَجم ، و—التنّور ، و—الأُخوان ، واحدهم رَجم . الرُجم : النجوم التي يرمى بها ، و—حجارة تنصب على القبر . الرَجمة : القبر ، و—المنارة شبه البيت كانوا يطوفون حولها . الرُجمة : حجارة تنصب على القبر ، و—وجار الضبع ، و—الدكّان الذي ترّجب به النخلة الكريمة . الرُجوم : الرمي بالحجارة . الرجيم : اللعين . وكذلك المرجوم . المَراجم : قبيح الكلام . تراموا بالمراجم واحدتها مِرجَمة . المِرجام : ما تُرمى به الحجارة ، اي المقلاع ، و—من الإبل : الشديد السير . المِرجَم : الرجل الشديد ، كأنّ عدوّه يُرجَم به ، و—الشديد الوطء من الخيل ، و—الذي يَرجُم الارض بجوافره . المرجم من الحديث : الذي لا يوقف على حقيقته : لسان مرجّم : قوّال[1]

العبرية :

Râgam : رجم ، قتل بالرجم .

Râgam bâ-'êbên, bâ-'êbânîm } رجم بالحجارة

Rigmâh : كومة ، رجمة من الحجارة .

(١) التاج ٨ — ٤ ٣٠ ي ؛ اللسان ١٥ — ١١٧ ي ي ؛ Lane ص ٤٧ ١٠ ي ي .

Margêmâh : مقلاع ، آلة لرمي الحجارة ، جمع ، جمهور.

Rêgêm : صديق ، رُجم[1].

السريانيّة :

Rgam : رَجم ، رمى بالحجارة ، ومجازاً : قذفه أو رماه بالشتم واللعن.

Rgîmâ : رجيم ، مرجوم.

Rgumyâ : الرجم ، القتل برشق الحجارة[2].

الحبشية :

Ragama : لعن ، دعا بالشر ، كره.

Ragûm : مكروه ، ملعون.

Regmat : لعنة ، دعاء بالشر.

Ragâmi : لاعن ، كاره

Margam : لَعن ، سبّ ، دعاء بالشر[3].

الاكّديّة :

Ragâmu : صرَخ (عوى ، نبح) نحب ، دوّى ، اعلن ، ادّعى ، عصفت الريح.

Regmu / Regmatu : صوْت ، رنين ، صراخ ، صياح[4].

---

(١) Gesenius ٢ — ١٢٦٢ ؛ Brown ص ٩٢٠ ؛ Elmaleh ع ١٥٢٠ .

(٢) منّا ، ص ٧٢٧ ؛ Brockelmann ص ٧١٢ ي ؛ معجم المطران أُودُو (بالكلدانية) ٢ — ٤٨٤ ؛ معجم القرداحي (سرياني عربي) ٢ — ٤٥٣ ؛ معجم Payne — smith (سرياني — لاتيني) ٢ — ٣٨١٢ ي .

(٣) Dillmann ع ٣١٦ .

(٤) معجم Bezold

تنسيق وتعليل

١ — في العربية افعال مشتقة ، وافعال مرتجلة ، اي مشتقة من اسم عين . مثال ذلك : عصوته : ضربته بالعصا . هروته : ضربته بالهراوة . سطتُه : ضربته بالسوط ، قمعته : ضربته بالمقمعة . حصبته : ضربته بالحصباء.[1] وعلى هذا النحو جاءت الافعال الاجنبية الدالة على الرجم . أما « رجم » في اللغات الساميَّة فليس فيه فكرة الحجر ، لخلو هذه الألسنة من فعل مشتق من الحجر ، كقولنا : حجَره : ضربه بالحجارة . كما هي الحال في فعل « ساقل » المراد به الثقل . ومن فكرة الثقل صدر sêqêl اي الحجر ؛ ومن sêqêl اشتق الفعل الارتجالي sâqal[2] : رجم . أمّا « رجم » فلكي يدل على الحجر يقتضي اعراب ذلك بقولنا : رجمه بالحجارة ، اي رماه بها . وكذلك في العبرية ، زيادةً في الايضاح ، يضاف غالباً الى الفعل Râgam عبارة bâ'êbânîm بالحجارة[3] . في كل المعاجم العربية يقال في تحديد «رَجمَ» رماه بالحجارة ، الا في اساس البلاغة للزمخشري ، فنجد فيه « رجمه : رماه بالرجام ، اي بالحجارة .»[4] مما يستدل منه ان « رَجم » مرتجل من اسم العين ، وهو الرجام ، اي الحجارة . لكن سوف نرى ان الرجام لا تشير الى طبيعة الحجارة وتركيبها ، اعني الصلابة ، كقولنا : تحجَّر الطين ، اي يبس وتصلّب ؛ بل الى صفةٍ وحالةٍ من احوالها ؛ وهي التجمع والتراكب .

٢ — ان كان فعل « رَجم » خالياً من مدلول الحجارة ، فما هي دلالته الفارقة ؟ الجواب : هذا الفعل — كطائفة من الافعال الثلاثية — ليس بصادر عن ثنائي واحد ، بل عن ثلاثة ثنائيات ؛ بينه وبين كل منها لحمة معنوية

---

(١) ابن سيده : المخصّص ٦ — ٩٧ ي ي ؛ الثعالبي : فقه اللغة ، ص ١٩٦ ي .
(٢) Gesenius ٢ — ٩٦٩ ؛ Brown ص ٧٠٩ .
(٣) Brown ص ٩٢٠
(٤) الزمخشري : اساس البلاغة ٢ — ١٧١

خاصة ، ومعناة منفردة . فقد رأينا من بسط مدلولاته في مختلف الالسنة السامية ان هذه المعاني متباينة ، متضاربة ، متنافرة ، اي غير منطقية . اذ ، حسب الظاهر في الحالة الثلاثية ، من المتعذِّر وجود التناسق المعنوي بين الصراخ والعصف والاعلان وبين الضرب بالحجارة ؛ ثم بين معرفة الغيب وبين الشتم واللعن ؛ ثم بين الخليل والنديم وبين الهضاب والقبر والبئر ؛ كما بين السير الشديد وبين وجار الضبع ورجبة النخلة .

٣ — على ان التقصي اظهر ان كل فريق من هذه المدلولات ، مدلولات فعل « رَجم » الثلاثي ، يلائم ثنائياً خاصاً . وهذه الثنائيّات الثلاثة الصادر عنها الثلاثي « رَجم » هي « رَجْ ، ورَمْ ، وجَمْ » فالثنائي « رَجْ » أصل لجميع الفحاوي المراد بها في « رَجم » الحركة والصوت ؛ و« رَمْ » جذر لكل المعاني الوضعية والمجازيّة الدالّة في « رَجم » على الرمي ؛ و« جَمْ » رومة لسائر المدلولات المتضمّنة في « رَجم » والمطلقة على الركم والتراكب .

١ — « رَجم » المشتق من « رَجْ »

٤ — « رَجم » الدال على الصوت والدوي والصراخ والنحيب والاعلان والادّعاء ، كما في الاكدية ، صادر عن الثنائي « رَجْ » الدال على الحركة والصوت . من ذلك رَجّة القوم : اختلاط اصواتهم . ورجّة الرعد : صوته . ومنه حديث ابن المسيَّب : « لما قبض الله رسول الله (ص) ، ارتجت مكة بصوت عال . » ومنه حديث علي : « أما شيطان الردهة ، فقد لقيته بصعقة سمعتُ لها وجبَةَ قلبه ، ورجَّة صدره . »[1] وورد في المخصص لابن سيدة : « سمعت رجّة القوم ولجّتهم ، يعني جلبتهم . »[2]

(١) اللسان ٣ — ١٠٦

(٢) المخصّص ٢ — ١٣٥

أن الثلاثي « رَجم » « Ragâmu » بمعنى دوّى ، صرخ ، نحب ، اعلن ، ادّعى ، خاصّ بالأكّدية . لكن نجد له آثاراً في العربية . من ذلك قولنا : فرس مِرجَم : يرجُم الارض بحوافره . وكذلك البعير ، وهو مدح . وقد ارتجمت الإبل وتراجمت . وجاء يرجُم : اذا مرّ يضطرم عدوُه[1] ونجد في تهذيب الالفاظ لابن السكّيت : « اذ رجم الفرس الارض بين العدو والمشي قيل ردى . »[2] وفي المخصّص لابن سيده : « فاذا رَجم الارض بين العدو والمشي ، قيل ردى ، ويقال : ردَت الخيلُ الارضَ بحوافرها في سيرها وعدوها . »[3] وفي اللسان : « قال الاصمعي : اذا عدا الفرس فرجم رجماً قيل ردى يردي ردياً ورديانا . » وفي الصحاح : «ردى يردي : رجم الارض رجماً بين العدو والمشي الشديد . » وانت ترى ان رَجم وردى مترادفان يدلّان في الامثلة المسرودة على الحجارة المتطايرة بعدو الحيوان ، مما ينتج عنه صوتٌ وقلقلة وقرقعة[4] . يقال ايضاً : « لسانٌ مِرجم : قوّال ، اي ذو صوت . وشيخ مِرجَم : يناضل عن القبيلة بلسانه ، اي بصوته وكلامه »[5]

« ومَدرَهُ حربٍ حميُها يتّقى — شديد الرجام باللسان واليد . » اي شديد المراجمة والمراماة بالخصومة والقتال . اشار بذكر اللسان الى الخصومة (مما يقتضي الصوت والصياح) ، وبذكر اليد الى القتال[6] . ومنه حديث عبدالله بن مغفّل المزني ، قال في وصيّته : لا ترجموا قبري ، اي لا تجعلوا عليه الرجم . هكذا يرويه المحدّثون بالتخفيف كما في الصحاح . واراد بذلك تسوية القبر بالارض ، وان لا يكون مسنّماً مرتفعاً . وقال ابوبكر :

(١) اللسان ١٥ — ١١٨ و٧ — ١٢١
(٢) ابن السكّيت : تهذيب الالفاظ ص ٦٨٥
(٣) المخصّص ٦ — ١٦٦
(٤) اللسان ١٩ — ٣٣
(٥) اللسان ١٥ — ١٢٠ ؛ التاج ٨ — ٣٠٥
(٦) ديوان زهير ص ١٨٥

بل معناه : لا تنوحوا عند قبري ، اي لا تقولوا عنده كلاماً قبيحاً . من الرجم ، وهو السبّ والشتم . » الاظهر هو ان معنى « لا ترجموا قبري . » لا تنوحوا ولا تولولوا[1] . وهكذا يقال ايضاً عن الرجال ، كما ورد في شعر الخنسآء :

« وان تكُ قد إبكَتْكَ سلمَى بمالِك : تركنا عليه نائحاتٍ ونائحًا[2] » .

٥ — وجآء في اللسان : « الجِرْم : الصوت وجهارته . وجرم الصوت : جهارته يقال : ما عرفته الّا بجِرْم صوته . وقال ابو حاتم : قد أُولعت العامة بقولهم : فلان صافي الجِرْم . اي الصوت أو الحلق . وهو خطأ . وفي حديث بعضهم : كان حسن الجِرْم . قيل الجِرْم هنا الصوت . »[3]

وبالحقيقة ان « الجِرْم » بمعنى الصوت لا علاقة له بمادة « جَرَم » ، وقد انكره بعض الأئمة ، لنشوئه صرفاً عن ولع العامة . ولذا يسوغ القول بكونه مقلوب « الرَجم » بدلالته القديمة عـلى الدويّ والصوت ، كما في الاكّديّة .

ب ــ « رَجَمَ » المشتق من « رَمْ »

٦ — ان الفكرة المتبادرة الى الخاطر من باب الاطلاق في كلمة « الرَجم » هي فكرة سيئة ، اعني معنى القتل بالحجارة . وهاك ما ورد في اللسان بهذا الصدد : « انما قيل للقتل « رَجم » لانهم كانوا اذا قتلوا رجلًا رموه بالحجارة حتى يقتلوه . ثم قيل لكل قتل رجم . ومنه رجم الثيّبَين اذا زنيا . وأصله الرمي بالحجارة[4] . »

---

(١) التاج ٨ — ٣٠٥
(٢) ديوان الخنسآء ص ١٣ (طبعة بيروت) .
(٣) اللسان ١٤ — ٣٦٠
(٤) اللسان ١٥ — ١٦٧

أما نحن فنقول ان الأصل هو الرمي مطلقاً ، لا بالحجارة ، ولا قصد القتل ؛ وليس المعنى فيه للقبح والامتهان ، بل للشرف والاكرام . هذا ومعلوم ان الرمي يعني طرح الشيء على الارض أو القاءه ، أو قذفه بشدّة الى بعيد ، أو الى العلاء . وهو صادر من الثنائي « رَمْ »

٧ – من الشواهد على ان الرمي أو الالقاء لم يكن للمضرّة ، أو الاحتقار ، أو اللعن ؛ بل للاكرام والاحترام ، هو ما كان يجري عند العرب الاقدمين ؛ فانهم كانوا يلقون الحجارة على القبور حرمةً لذكرى المتوفين . وكان من عادتهم اذا مات أحدهم ، ان لايحفروا له لحداً ، بل كانوا يكوّمون الحجارة على جثته ، طبقاً لرواية الجاحظ في كتاب المحاسن : « كان الميّت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ، اذ لم تكن قبور[1] » . وكان على الاقارب والاصدقاء القيام بهذا الواجب ، ممّا يُنفى به كل فكرة سيئة في تكويم الحجارة . لان العرب لم يكونوا يرجمون القبور بمعنى الرجم المألوف . فان الواحد منهم ، عند مروره ، كان يضيف حجارة الى أحجار القبر احتراماً للمدفون فيه . ودونك ما ورد في كتاب الاغاني شهادة على هذا : « قال ابو عبيدة : ولحقوا يومئذٍ أبا الفرعة الحرث بن مكدم ، فقتلوه . وألقوا على ربيعة أحجاراً . فمرّ به رجل من بني الحرث ابن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الاحجار التي اهيلت على ربيعة . فقال يرثيه :

نفرت قلوصي من حجارة حرة ... بُنِيَت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه ... سبّاء خمرٍ مُسعِرٌ لحروب[2] .

وهذا ما يصنعه الى اليوم عرب البادية ، في الحجاز وشرقي الاردن ، كما كان يصنع اجدادهم قديماً ؛ اي انهم كانوا ، في غضون قطعهم المفاوز ، وعند مرورهم بجانب الانصاب أو الرجوم اي القبور التي تراكمت عليها

(١) كتاب المحاسن ، المنسوب الى الجاحظ ، ص ٢٧١
(٢) الاغاني ١٤ – ١٤٤

الحجارة ، يلقون هم ايضاً حجارة ، حرمةً لذكرى المقبورين هناك[1]. لا بل لم يكن رجمهم بالحجارة وحدها ، بل بغير ذلك ، مما يقع تحت يدهم ، مثل اغصان السلَمات السمر ، أو الحطب[2].

على هذا المثال يعمل أهل كثير من البلاد العربية الى يومنا هذا في المقابر . اذ بعد حفر القبر وانزال الجثمان فيه ، يأخذ الأهل وكل الحاضرين يرمون على التابوت حفنةً من التراب اثباتاً للقول السائر : « وواروه في التراب » . وما هذا الصنيع سوى اشتراك في اداء واجب الدفن للميّت ، وهو علامة احترام وتوقير فضلًا عن هذا ، تستعمل كلمة « رَجمَ » للشرف ايضاً . كما نجد ذلك في ما يُروى عن « المَرجُوم » ، وهو لقب رجل من العرب كان سيداً ؛ ففاخر رجلًا من قومه الى بعض ملوك الحيرة ، فقال له : « قد رجمتك بالشرف » فسمّي « مرجوماً »[3].

٨ – على ان رمي الحجارة يجري ايضاً – وهو الاكثر شيوعاً – لغاية سيئة ، اي للانتقام ، وانزال القصاص ، بالقتل رمياً بالحجارة ، كما بيّنّا اعلاه[4]. ومن معنى الرمي المادي بالحجارة ، جاء معنى القذف والطرد ؛ ثم من باب المجـاز ، مدلول الشتم والسبّ واللعن والحُرم والدعاء بالشر والامتهان والاحتقار والكره[5] وفي جميعها فحوى الرمي . لانه اذا لحق أحداً اذى من غيره كان ذلك سبباً لغيظه ، فيندفع فوراً الى دفـع الاذى بمثله . وفي وسعه ، لهـذه الغاية ، وسيلتان : إمّا باليد ، وإما باللسان . باليد يعمد الى اي شيء يمكنه مضرّته به وهو اقرب اليه . والحال ان الحجارة أو ما يضاهيها متوفرة وقريبة منه ، لاسيما في الطرق والضواحي والبراري . وأمر طبيعي ان يُصحِب رميَ الحجـارة برميه ، عن طريق اللسان ،

(1) A. Musil, arabia petræa. III, 36

(٢) الاغاني ١٣ – ١٦٦

(٣) اللسان ١٥ – ١٢٠

(٤) Lane ص ١٠٦٧

(٥) التاج ٨ – ٣٠٦

بالعبارات المهينة والمؤذية ، وهي الدعآء والسبّ واللعن وغيرها . أو انه يكتفي برمي الحجارة صامتاً ، وإما بقذف المَراجم ، اي الاقوال القبيحة بمفردها . ولهذا يقال من باب الحقيقة : رماه بالسهام ، أو بطلق نار ، دلالة على القتل ، كما انه يقال ، من باب المجاز ، رماه الله ببليَّة ، ورماه الله بداهية ، ورماه الله بغاشية . كما يرد ايضاً : رجم فلاناً بكلام سيء[1] . ومثل ذلك كذلك : تراجموا بالحجارة : تراموا بها . وتراجموا بالكلام : تسابّوا . والمراجم ، جمع مرجمة ، قبيح الكلام . فيقال : تراموا بالمراجم[2] .

٩ — « رَجَم » يدل ايضاً على الحدَس والتخمين والظن . والرَّجم : التكلُّم بالحدس ، ومنه جآء : الرَّجم بالغيب . قال الزمخشري : « رَجَم بالظن : رمى به . ثم كثر حتى وُضع موضع الظن فقيل : قاله رجماً اي ظنّاً . وفي الصحاح ان يتكلّم الرجل بالظن . ومنه قوله تعالى : رجماً بالغيب . ويقال : صار رجماً ، لا يوقف على حقيقة أمره . وقال الراغب : وقد يستعار الرَجم للرمي بالظن المتوهّم . وحديثٌ مُرَجَّم : مظنون[3] » . وأخبار مرَّجمة . وترجم الاخبار . وقال زهير : « وما الحرب الّا ما علمتم وذقتم — وما هو عنها بالحديث المرَجَّم » . كل هذا بمعنى الكلام المرمي اي المظنون[4] » .

ت — « رَجَمَ » المشتق من « جَمْ »

« رَجَم » ، الدالّ على الركم والتكويم ، صادر عن الثنائي « جَمْ » المراد به الاجتماع والتراكب . من ذلك : ارتجم الشيء : تراكب بعضه على بعض . الرَّجم : الحجارة المجموعة على القبور ، و — البئر والتنور ، لانه

(١) القالي : ذيل الامالي ص ٥٥ ي ي

(٢) اللسان ١٥ — ١١٩ ؛ التاج ٨ — ٣٠٥

(٣) التاج ٨ — ٣٠٤

(٤) اللسان ١٥ - ١١٩

يجمع على فمها الاحجار ، و—الأُخوان ، لمزيد اجتماعهم بعضهم ببعض . الرجم : الخليل والنديم ، لكثرة اجتماعه بصاحبه . الرُجم : القبر ؛ والأصل فيه الحجارة التي توضع عـلى القبر ، ثم أُطلق على القبر ذاته . رجّم القبرَ ترجيماً : علّمه ووضع عليه الرجم . الرِجام : الهضاب ، و—الحجارة المجتمعة ، أو هي ، كالرضام ، صخور عظام أمثال الجُزُر ، أو هي كالقبور العاديّة ، واحدتها رُجمة (Dolmens) الرُجمة : حجارة مرتفعة شبه البيت كانوا يطوفون حولهـا . الرُجمة : وجار الضبع ، لانه يأوي بين الصخور . و—الدكان الذي ترجّب به النخلة الكريمة[1] .

الرجمات والجمرات

جاء في « الرحلة الحجازية » للبتنوني : « الرَجم في اصطلاح الحجيج رمي غرض مخصوص في مِنَى بسبع حصيات في حجم الفولة وهذا الغرض يسمّى « جمرة » . والجمرات ثلاث : جمرة العقبة ، والجمرة الوسطى ، والجمرة الصغرى . « ويسميها العامة : ابليس الكبير ، والوسطاني ، والصغير[2] » .

وورد في اللسان : « الجمرة : مواضع الجمار التي ترمى في مِنَى . يقال لها جمرات . لان كل مجتمع حصى منها جمرة . وهي ثلاث جمرات[3] . وسئل العباس عن الجمار في منى ، فقال « أصلها من جمرته ودهرته ، اي نحّيته . والجمرة واحدة جمرات المناسك . وهي ثلاث جمرات يُرمين بالجمار . والجمرة الحصاة . والتجمير رمي الجمـار . وأما موضع الجمار بمنى فسُمّي جمرة ، لانها تُرمى بالجمار . وقيل لانها مجمع الحصى التي ترمى بها[4] » .

---

(١) اللسان ١٥ — ١١٨ ي ؛ Lane ص ١٠٤٨

(٢) البتنوني ص ١٩٠ ؛ ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ١ — ١٣٦ ي ي ؛ المعلمة الاسلامية ، بالفرنسية ، ١ — ١٠٤١ ، و٢٠٩ ي ي ، و٣ — ٥٦٦ ي .

(٣) اللسان ٥ — ٢١٦

(٤) اللسان ٥ — ٢١٧

حسب رواية البتنوني ، كان العرب يرجمون هذه الجمرات الثلاث في حجهم ، قبل الاسلام ، احتذاء لمثل ابراهيم وهاجر واسماعيل الذين وسوس اليهم الشيطان في هذه الامكنة الثلاثة لمخالفة أمر الله ، فرجمه كل منهم بحصيات ، دفعاً لفتنته ، وللعنه . وهكذا كانت العرب تعمل ، اي ترجم مَن سخطوا عليه ، حيًّا كان أم ميتاً[1] .

لكن الازرقي ، صاحب « أخبار مكة وما فيها من الآثار » يروي انه كان في وادي مِنَى أنصاب أصنام قد نصبها عَمرو بن لُحَي . وكانت عندها تجري الجمرات وكان عدد الاصنام سبعة ، وكانت متفرقة في ذلك الوادي . ثلاثة منها الجمرات الحالية[2] » .

هذا هو المأثور . بيد اننا اذا بحثنا عن الجمرات أو الجمار من حيث الاشتقاق ، وجدنا التعليل الوارد في كتب اللغة من ان أصل الجمرة ، حسب قول ابي العباس ، من جمرته ، دهرته ، اي نحَّيته ، غير وافٍ بالمرام[3] . لان أهم معاني « جَم » عائد الى التجمُّع ، ومنه التنحية ، اعني التجميع في ناحية . وفعل « جمر » الثلاثي ناشيء عن الثنائي « جَم » الدال على التراكم . الّا ان المقصود الاول من « التجمير » هو رمي الحصيات في مواطن معينة ؛ وما التراكم الّا نتيجة هذا الرمي . ولذا ففكرة التجمع والتراكب ليست المعنى الفارق المراد بهذا الصنيع .

أما اذا قلبنا كلمة « الجَمرة والجَمرات » حصل لدينا « الرجمة والرجمات » اي الرمية والرميات ، أو الحصيات المرجومة ، أعني المرمية وهكذا ينطبق الاسم على المسمَّى ، ويدل الفعل على عمله ، فيُعنَى بالرجمات الحصيات

---

(١) البتنوني ١٩٠ ي .

(٢) الازرقي ٤٠٢ ي ي ؛

Gaudfroy—Demombynes, le pélérinage à la Mekke, p. 275 s

(٣) اللسان ٥ - ٢١٧

المقذوفة ، والرجمات المواضع التي ترجم بالحصى ، فيجتمع فيها هـذا الحصى متراكماً .

اذن الراجح في نظرنا (وهذا ايضاً رأي المستعرب de Landberg في معجمه الدثيني[1]) انه منذ الأزمنة العريقة في القدم كان أصل هذه الكلمات « رَجم ، رجمة ، رجمات » الحاوية المعاني الملائمة للواقع . فقلبت ، لداعٍ من الدواعي ، الى « جمر ، جمرة ، جمرات أو جمار » واستمرت على هذه الحال في الاستعمال ، بعيدة عن المطابقة للمفهوم المراد في الوضع الأَول .

ولا عجب في ذلك اذ ان هـذا هو الحال في القلب ، اي ان أحد الحرفين هو الأصل والمناسب للمدلول ، وما الثاني سوى نتيجة القلب ، لا لحمة بينه وبين المنطوق الأَولي . مثال ذلك قول العامة اليوم « نَعْلَةُ الله عليك . ونَعَل فلان فلاناً » وهو مقلوب « لعن » اي طرد ، أبعد بالكلام . ولعن ، هذا الثلاثي ، مشتق من الثنائي « لَعْ » الظاهر في مكرره « لعلَعَ » الدال على الاهتزاز . ومنه تَلَعْلَع لسانِ الكلب : تحرك من العطش . واللعن يتم بحركة اللسان . أما « نَعل » فمفهومه : ألبس الدابة النَعل . وكذا الشان في « افتصل واصطفل » في العاميّة فان الاصل افتصل ، مزيدْ فصل ، وهو صادر عن « فَصْ » . أما اصطفل فمن « صفل » الذي لا علاقة له بالمعنى المقصود ، لا بل لا وجود له في الفصحى . كل ذلك يدلك على ان « الرَجم » ، كما بيَّنَّا اعلاه ، يطلق على الرمي ، إمّا بنية حسنةٍ للتكرمة ، وإما بنيَّة سيئة للمضرة المادّية بالحجارة ، أو للمضرة الادبيَّة ، بالشتم والسبّ واللعن .

---

(1) De Landberg, Glossaire Datînois, II, p. 1165 s

أصل ابليس، الشيطان، الرجيم.

هذه ثلاثة أوصاف تُطلَق على الروح الخبيث، أو الملاك المتمرد ؛ فما أصلها ؟

ا الشيطان

من المُجمَع عليه بين ائمة الاشتقاق العصريين ان أصل كلمة شيطان ليس من العربية، بل من العبرية. وهي في هذه اللغة «ساطان». ويقابلها في العربية: «السارِطن»: الخبيث. ومعنى «ساطان»: الضد، الخصم، العدو. وقد أرتجل منها فعل «ساَطن». ومن السائغ رد هذا الثلاثي الى الثنائي العربي «سطْ»، في سطا، ومعناه: صال على غيره، ووثب، وبسط عليه، وقهره، وهو من اعمال العداوة[1].

ومن العبرية انتقلت هذه الكلمة الى السريانيّة بلفظة: «ساطانا»، وارُتجل منها فعل «سطَنْ»: وثب، هجم على، مكر، خدع. ومنها «سطِينَا»: ساطِن، خبيث، ردي[2]. ووجلت الحبشية بصورة «سيطان أو شيطانSêtân[3]» وفي العربية: شيطان[4]. ومن الراجح انها لم تدخل العربية رأساً، بل عن طريق الحبشية، لوجود الياء في كليهما، سيطان وشيطان. وفي العربية — كما في العبرية والسريانية — صِيغ من كلمة شيطان: شَيطَن وتشيطَن: فَعَل فِعل الشيطان[5]. والشيطان في اصله

(١) Brown ص ٩٦٦ ؛ Gésenius ٢ – ١٣٢٨ ي ؛ اللسان ١٧ – ٧٠ ؛ و١٩ – ١٠٦

(٢) منّا، ص ٤٩٠

(٣) Dillmann، ع ٣٩٤

(٤) اللسان ١٧ – ٤ و

(٥) اللسان ١٧ – ١٠٦

العبري ، مطلق اولًا عــلى المضادّ والخصم والعدو عموماً ، ولذلك يقال لاي رجل كان : « أنت شيطان » اي مخالف ، مقاوم لرأي أو عمل غيرك ، كما جاء في الانجيل ، حين قال السيد المسيح لبطرس : « اذهب ورائي ، يا شيطان[1] » . اي يا مخالف خطَّتي ، وهي الرغبة والسعي في الآلام . ومن باب التقييد يطلق على الملاك المتمرد ، ولاسيَّما رئيس الارواح أو الملائكة الارديا.[2] .

ب ابليس

في الترجمة السبعينية — اي ترجمة الكتاب العزيز من العبرية الى اليونانية — استعملت كلمة Diabolos مقابلًا للفظة « ساطان » العبرية . ومن السبعينية دخلت هذه الكلمة الى الترجمة القلغاتة (الدارجة) اللاتينية ، بصورة Diabolus ؛ وعن طريقها ولجت الى اللغات الاوربية جمعاء . ومعنى Diabolos في اليونانية من قبيل فحوى « ساطان » في العبرية ، اي المضاد ، المعادي ، المشتكي ، المغتاب . وهي مركَّبة حرفياً من الاداة dia المراد بها « بين ، في خلال » ومن Ballo : رمى ألقى ، طرح ، اعني أقام عقبة في طريق غيره ؛ ومن ذلك : ضادّه عاكسه ، شكاه ، عاداه[3] .

ولما ترجم الحبشة الكتاب الكريم الى لسانهم من اليونانية . استعملوا في جملة الالقاب المطلقة على الملاك المتمرد نعت «ساطان» العبري ، و Diabolos اليوناني ، لكنهم أجروا ذلك بشيء من التصرف ، فقالوا « سيطان او شيطان Sêtàn ، و Diyâblos[4] .

---

(١) انجيل مرقس ٨ — ٣٣

(2) Vigouroux, dict. de la Bible, V, C. 1496 — Hastings, dict. of the Bible, IV, p. 407 s. s.

(3) Pillon, dict. grec-français, p. 305, s.

(٤) Dillmann ع ١١٢٧

كلمة « ابليس » كثيرة الورود في العربية ، قبل الاسلام وبعده فقد وردت في الشعر الجاهلي :

طَغَوا وغرّتوا كذبةً وازلّهم — عن الحقّ ابليس، فخافوا وخيّبوا[1]

الا طال ما قد بتُّ يُوضع ناقتي — ابو الجن ابليس بغير خطام[2]

وهي وافرة الوجود في المصحف . من ذلك : « واذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا الّا ابليس أبى واستكبر، وكان من الكافرين[3] ».
وبعض اهــل التفسير والمعاجم يفترضون انها عربية ، ويشتقونها من فعل « ابلَس » اي قنط من رحمة الله[4] . بيد ان ارباب التقصي يرون فيها كلمة دخيلة من اليونانية عن سبيل الحبشيّة ، اذ في هذه اللغة قد بدأ اختزالها، فاضحت Diyâblos ، وتمّ هذا الاختزال في العربية ، بقطع الاداة Dia ، وكسر الآخِر ؛ فتولّد من ذلك « إبليس »[5].

وهذا ليس بالغريب في العربية وغيرها من اللغات . من هذا القبيل اسم « القبط » ، فهو مختزل من Égyptos بقطع رأسه ê وذيله os . ومنه ايضاً « أسقف »، اصلها من اليونانية Episkopos ؛ ولجت الحبشية ، فاختزلت مضيحة Esqûf ؛ وعلى هذه الصورة تقبّلتها العربيّة ، فقيل فيها « أسقف » ؛ مع انها لم تختصر في صيغة أخرى من لسان الحبشة ، وهي Épisqoposna : الدرجة الاسقفيّة[6] . وكذلك Metropolites الهلنيّة ، استحالت الى مطران في العربية . ومن هــذا ايضاً لفظة Adamas اليونانية ، اضحت « ماساً » في لغتنا[7] . ثم « يوحنا » صارت « حنّا » . ويقول كتّاب العصر «سيكولوجية»

---

(١) ابن هشام ص ٣١٨

(٢) ديوان الفرزدق ص ١١٠

(٣) سورة البقرة ، ٣٤

(٤) التاج ٤ — ١١١

(٥) Dillmann ع ٧٤٩

(٦) اللسان ١١ — ٥٧ ؛ Dillmann ع ٨٠٦

(7) Pillon, dict. grec-français, P, 15

عوض psychologie و Dusenteria اليونانية امست « زنطاري » في العربية. والباعة المتجوّلة ينادون في الشوارع « كَاَزِيون »، ترويجاً لبيع اغراض مستعملة؛ وهي تحريف الكلمة الفرنسية D'occasion .

ت : الرجيم

جاءت هذه اللفظة وصفاً للشيطان، قبل الاسلام وفي القرآن؛ ولا تزال متداولة الى اليوم على افواه الناس. ويراد بها المرجوم واللعين.

في دواوين الشعراء :

جهنم تلـك لا تبقي بغيـاً – وعـدنُ لا يطالعهـا رجيم[1].

دعوا الناس اني سوف تنهي مخافتي – شياطين يُرمى بالنحاس رجيمها[2]

فـلا يأتي المساجـد باهـلي – وكيف صلاة مرجوس رجيم[3]

ولو شئت نجّاك الكميت ولم تكن – كأنـك نصب للرجال رجيم[4]

في المصحف :

وردت في جملة سُوَر من القرآن – من ذلك . « وحفظناها من كل شيطان رجيم[5] ». « واني سميتها مريم، واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم[6] » «قال فاخرج منها فانك رجيم، وان عليك لعنتي الى يوم الدين[7] ».

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية الاخيرة: « الرجيم المرجوم، ومعناه

(١) ديوان امية بن ابي الصلت، ص ٥١

(٢) نقائض جرير، ص ١١١

(٣) ديوان الفرزدق، ص ٢١

(٤) نقائض جرير، ص ٢١

(٥) سورة الحجر، ١٧

(٦) سورة ال عمران، ٣٦

(٧) سورة ص، ٧٧ و٧٨

المطرود ، كما قيل المدحور والملعون . لان من طُرد رُمي بالحجارة على اثره . والرجم الرمي بالحجارة . أو لأن الشياطين يُرجَمون بالشهب[١]» .

وقال صاحب التاج : « الرجم اللعن . ومنه الشيطان الرجيم ، الملعون، اي المرجوم باللعنة ؛ وهو مجاز . ويكون الرجم ايضاً بمعنى الشتم والسبّ . ومنه : لارجمنَّك اي لاسبَّنَّك . ويكون بمعنى الهجران وايضاً الطرد . وبكلّ من الثلاثة فُسِّر لفظ الرجيم في وصف الشيطان ، والأصل في الرجم الرمي بالحجارة . ثم استعير بعد ذلك للمعاني التي ذكرت . وقد سمّي الشيطان رجيماً لكونه مرجوماً بالكواكب[٢] » .

رأينا سابقاً ان كلمة « رَجَم » لها معنى خاص في الاكّديّة ، وهو مدلول الدويّ والصراخ ، وان العربية غير خالية من أثر لهذا . وفي العربية والسريانية للرجم معنى مادي محسوس، وهو الأصل فيه ، اي الرمي بالحجارة، ومن باب المجاز ، دل على الشتم والسبّ والطرد واللعن ؛ لانه من الدلائل الحسّية على الطرد واللعن رمي الحجارة ورآء الرجل المكروه . أما الحبشية فهي ، كما سردنا معاني الحرف فيها ، خالية من المدلول الاصلي المحسوس ، وهو الرجم بالحجارة وقد احتفظت بالفحوى المجازي فقط ، وهو اللعن والدعاء بالشر .

ومن الغرابة ان حدت هذه الحال المستشرقين المُستسيمين(Sémitisants) الى الادعاء بان الدلالة الاولى لفعل « رَجم » هي « لعَن » ، وبان الرجيم ليست بعربية ، بل دخيلة من الحبشية[٣] .

---

(١) الكشاف للزمخشري ، ٣ ص ١٩

(٢) التاج ٨ – ٣٠٧

(٣) يُطلق عادة على العلماء الغربيين المتخصّصين لدرس كل ما ينوط بالبلاد الشرقية القاصية والدانية وبشعوبها ولغاتها اسم Orientalistes . وقد ترجم في العربية بلفظة « مستشرقين » . ودُعي الذين يشتغلون في ما يتعلق بالعرب ولغتهم وتاريخهم وما شاكل ذلك ، Arabisants التي يقابلها في لساننا حرف « مستعربين » .

قلت : اذ كان بحثي عن « الرجيم » ، كغيره من الجاثي ، داخلًا في الدائرة اللغوية والالسنية السامية محضاً ، ارتئي انه ، ان كان هنـاك لغة استعارت الكلمة المذكورة ، اي « الرجيم » من لغة أخرى ، فالاولى ان تكون الحبشية ، والحالة هذه ، قد اخذتها عن العربية ، ولا العكس . والسبب طبيعي بديهي ، وهو ان المعنى الوضعي يسبق المعنى المجازي . والحال ان العربية - وكذا العبرية والسريانية — قد احتفظت — كما هو الواقع في كثير من الظروف — بالدلالة الوضعية المادية ، تتبعها الدلالة المجازية . أما الحبشية التي فيها مدلول « اللعن » اي المجازي فقط ، فاماً انه فقد منها الفحوى الاصلي الوضعي ، وإما انها ادخلت اليها « رَجم » بمنطوقه المجازي ليس الّا .

هذا وفي السريانية لفظة « Rgîmâ[1] » مثل « الرجيم » العربية ؛ وهي ، من باب التخصيص ، وصف للشيطان ؛ كما ان المندائيَّة — وهي احدى اللهجات الإرميَّة في العراق القديم - وارد فيها بالحرف Satânâ rgîmâ[2] ، اي « الشيطان الرجيم » . مما جآء دليلاً ساطعاً على ان « الرجيم » كلمة كان يوصف بها الشيطان منذ العصور السابقة عصر محمد والفرقان ، وصف مرجوم باللعنات ، كما يرجم بالحجارة المطرود والمكروه .

بيـد هناك فريق من هؤلاء العلماء منقطعون لمعالجة البحث في شؤون كل الشعوب الساميَّة ولغاتها واديانها وتواريخها؛ ويسمّون بالاجنبية Sémitisants نسبة الى Sem ، وهو سام جد الساميّين .

والى اليوم، على ظنّنا، لم يذكر أحد لغويينا أو ادبائنا مقابلًا لها في لغتنا الضادية . فننتهز فرصة ورود اسمهم في بحثنا لنضع لهم نعت « مستسيمين » اضافة الى سام ، بقلب الالف ياء ، لان لفظ الكلمة الاصلي في العبرية « شَيم » بالامالة ، فضلًا عن ان الاعلال يتطلب هذا القلب بالعربية .

Noldeke, Neue Beitrage zur semitischen sparache Wissenschaft, p. 47 — de Landberg, gloss. Datinois p. 1167.

(١) المطران اودو ، معجم بالكلدانية ، ٢ — ٤٨٤ .

(٢) Brockelmann ، ص ٧١٢

تقصٍّ خاص في اصل « الرجيم »

هذا ، ومع قبولنا بتفاسير المفسّرين وبالناجم عنها من النتائج ، نقول ان المستعرب de Landberg قد اقترح على الباحثين التقصّي تقصياً نعماً في أصل كلمة « ابليس » ، المطلق على الشيطان عند المسيحيين ، قبل الاسلام[1]. أمّا المستعرب المذكور فلم يحقّق هو ذاته ما اقترحه ؛ فاحببنا تلبية مقترحه ، فسعينا في التعميق في الموضوع ، وللقارئ نتيجة تقصّياتنا ، فنقول :

اسلفنا ان كلمة « شيطان » عبرية ، ومعناها الضد والخصم . ثم من خصائص العدآء مضرة الخصم خصمَه بالثلب والاغتياب والافترآء . وهذه هي صفة الشيطان منـذ القديم نحو الجنس البشري . لان الانسان خلق للتمتع بالسعادة التي خسرها هو ، فنشأ من ذلك حسده وعداوته.

لمّا تُرجِمَت الترجمة السبعينيّة أُبقي فيها تارةً اسم « ساطان » وطوراً تُرجم الى اليونانية ، فجآء من ذلك اسم Diabolos الذي دخل في الترجمة الحبشيَّة بلفظ Diyâblos ، ومنها الى العربية بصورة « ابليس » . فابليس معناه كمعنى الشيطان : العدو والخصم والمشتكي والمغتاب .

أما السريان ، فلما نقلوا الكتاب المقدس الى لغتهم ، لم يدخلوا كلمة Diabolos على حالها ، بل تَرجموها بكلمة سريانية وهي Akêl-qarsâ[2] (الفظ الكاف خآء والسين صاداً) . واول معانيها : القارص لحم غيره ، أو الآكل لحم قريبه ، كما يقال ذلك ايضاً في العربية . ومدلولها المجازي : المشتكي والمغتاب والنمّام . وهناك لفظة أخرى سريانية واردة في العهد الجديد وهي Maremyânâ أو Mramyânâ[3] من فعل rma ومعناته : رمى . فيكون فحوى Maremyânâ : الرامي ، القاذف قريبه ، مع تقدير الحجارة وضعياً

(1) De Landberg, gloss. datinois, p. 1173

(٢) أودو ، ٢ — ٤٦٧ — Payne — Smith, II, 3756
انجيل مارمتى ٤ : ١ ، ٥ ، ٨ ، ١١

(٣) Payne-Smith ٢ — ٣٩٢٧ ؛ منّاص ٧٤٧ ؛ رؤيا ٢ : ٩ ، ١٢ ، ٢٠ و ٣ : ٩ .

وتقدير الشتم والسب واللعن مجازياً ؛ او بعبارة أخرى ان Maremyânâ يقابل « الراجم أو الرجيم » العربية لا بمعنى « فعيــل المفعولية » لكن « فعيل الفاعلية » .

مما يجدر بالذكر ان الترجمات العربية للكتاب المقدس ، كلما اقتضى التعبير عن Diabolos اليونانية ، التي يقابلها في السريانية Akêl-qarsâ أو Maremyânâ ، تستعمل كلمة « ابليس » أو لفظة « المغتاب ، الثلّاب » التي هي نقل Diabolos أو Akêl-qarsà ، كما ترى ذلك في ترجمة الدياطسّرون العربية ، في القرن العاشر[1] .

والحال ان كلمة « رجيم » العربية — القرآنية وغير القرآنية — وان فسّرها المفسرون وارباب المعاجم بمعنى «المرجوم» — مما دل على انهم اتخذوها بفحوى « فعيل المفعولية » — يسوغ ارجاعها الى دلالة « فعيل الفاعلية » اي بمنطوق « الراجم » . ولنا شاهد على ذلك في المعاجم ذاتها ، ولاسيّما ما ورد في تاج العروس ، وهذا نصّه بالحرف ، تفسيراً للآية القرآنية : « لئن لم تنتهِ لارجمنّك ، اي لاقولنّ عنك بالغيب ما تكره ، أو لاسبّنّك . والرجم : الشتم والسب[2]» . « فيكون « الرجيم » ليس فقط « المرجوم » اي المشتوم والملعون من الله والملائكة والناس ، بل ما يشير الى شيمة خاصةٍ به ، وهو انه هو الذي يشتم ويسبّ وينمّ ويغتاب ويفتري على البشر ، مدفوعاً بحسده وعدواته لهم . وهذا معنى « ساطان » في العبرية ، ومعنى Diabolos في اليونانية ، و Akêl-qarsa في السريانية — وهي كلمة قديمة ، لورودها في الأكّدية بهذا المعنى ، اي المشتكي والثلّاب[3] . وهو معنى ابليس ايضاً في الحبشية والعربية . وعلى هذا النحو اتى فحوى « الرجيم » في العربية ، اي « الراجم » ، وهو الرامي ، لا بالحجارة وضعيًّا ،

---

(١) الدياطسرون (نشر الاب مرمرجي) ص ٣٨

(٢) التاج ٨ — ٣٠٨

(٣) Bezold ص ٣٧

بل مجازاً ، بالشتم واللعن والاغتياب. وهذا لا يحول دون اتخاذ « الرجيم » بمعنى المرجوم . اذ ان الأوصاف المذكورة تلائم الشيطان ، وقد وردت بهذه المعاني المختلفة في الآثار القديمة ، دينية ومدنية .

هذا ما توصلنا الى استنتاجه بالتقصي ، فعسى ان نكون قد اصبنا المرمى ؛ والّا فالانسان عرضة للزلل .

اشتقاق « ترَجم وترجمان »

هذه كلمة نبسطها في أصل « ترجم وترجمان » لانهما مشتقان من « رجم » بزيادة التاء تتويجاً . فنبحث عن المعاني المختلفة ، وعن الاصل الثنائي .

العربية :

ترجم اللسانَ وعنه : فسر كلامه بلسان آخر ، و — الكتاب : نقله من لغة الى لغة اخرى ؛ و — الكلام بالعربية : نقله اليها .

الترَجمان والترُجمانُ : الذي يترجم الكلام ، اي ينقله من لغة الى لغة أخرى ؛ و — المفسّر للسان[1] .

السريانية :

Targêm : ترجم ، شرح ، فسّر ، استخرج من كتاب ، حكى .
Targêm 'âl : بيّن ، اعرب ، أوضح ، خطب ، خاطب .
Targâmâ
Mtaregmânâ } ترجمان ، خطيب ، واعظ .
Turgamânâ
Turgâmâ : ترجمة ، موعظة ، مقالة ، تُرجام ، ميمَر[2] .

(١) اللسان ١٥ — ١٢٠

(٢) منّا ، ص ٨٤٨ ي ، أودو ٤ — ٦٣٤

العبرية :

Targèm : ترجم ، استخرج .

Targûm : ترجمة ، نقل ، ترجمة أو شرح الكتاب المقدس العبري باللغة الآرامية .

Turgemân : مترجم ، ترجمان[1] .

الحبشية :

Targama : ترجم ، نقل من لسان الى لسان آخر ، شرح ، فسّر .

Targâmê : ترجمة ، شرح ، تفسير ، تأويل .

Targâmî
Targimân
Mtargîm
} مترجم ، مفسّر ، ترجمان[2] .

الأكّدية :

Targumânu
Targimânnu
Turgumânu
} ترجمان[3] .

الظاهر من سرد معاني الكلمة في مختلف الالسنة الساميّة ان الدلالة العامة والاصليّة فيها : الشرح والتفسير ، ثم النقل من لسان الى لسان ، بالتكلم أولًا ، وبالكتابة ثانياً . وفي كل هذه اللغات الفعل رباعي ، والتاء زائدة ، والاسم منه على وزن تفعلة وتفعلان .

أما في شأن أصل الحرف المشتق منه هذا الفعل وهذا الاسم ، فقد تضاربت آراء الألسنيّين المستَسيميين . فمنهم من ذهب الى انه آتٍ من الدويّ والصراخ . ويرى غيرهم ان الاصل هو Turgemân العبري ، وان Targêm فعل ارتجالي مشتق منه . لكن Targumânu الاكّدي يدل من

(١) Brown ص ٢٧

(٢) Dillmann ص ٥٥٦ ي

(٣) Bezold ٢٩٥

القديم على المترجم ، اي الناقل من لغة الى لغة أخرى ، أو المتوسط بين اثنين يجهل كل منهما لغة الآخر ، فيفسر للواحد بلغته ما يقوله الثاني بلسانه . وهذا العمل بعيد عن فعل الصيّاح أو الدّلال . أما Welhausen فيظن ان « ترجم » مشتق من « رجّم » اعني تعاطى مهنة العرّاف . بيد ان الذي يحدس ، ويخمّن ، أو يرجّم بالغيب قصيّ ايضاً عن وظيفة الترجمان[1] .

قلت : الظاهر ، على كل حال ، ان « ترجم وترجمان » مشتقان من « رَجم » الصادر هو ذاته ، في هذه الحال ، ليس عن « جَمْ » ، ولا عن « رمْ » ، لكن عن « رَجْ » الدال على الحركة والصوت ؛ ومن الصوت يأتي الكلام ، ومن الكلام التفسير ، ومن قبيل التفسير النقل من لسان الى لسان ؛ ومن نوع هذا العمل عمل الترجمان ، اي المتوسط بين شخصين ، لاطلاع احدهما على كلام الآخر ، لمعرفته لسانيهما .

ح حرب ، خرب ، محراب

العربية :

حرَب الرجلَ : سلبه ماله وتركه بلا شيء ، وحرب اشتد غضبه ، و- كلِب . حرّب السنانَ : حدّده ، و- أطعم النخلَ الحرَب ، و- هيّج ، اغضب . أحرَب الحربَ : هيّجها ، و- النخلُ : اذا طلع . استحرب : صار كالحرِب قوةً ، اي كالأسد . الحرِب : الشديد الغضب . الحرَب : الطلع . الحربة : الآلة دون الرمح . والحربة : فساد الدين ، لانه يسلَب . والمحرُوب : مَن حُرِب دينُه ، اي سُلِب . والحرْبة : الجمعة ، لانها زمان محاربة النفس . المِحرَب والمِحراب : الشجاع الشديد في الحرب .

(1) De Landberg, gloss. ditînois, P 1173 s s

الِحرباء : دُوَيبة تتقبّل الشمس ، كانها تحاربها . الحارب (في الحديث) المشلّح اي الغاصب ، الناهب ، الذي يعرّي الناس ثيابهم . سِنان محرّب : محدّد مؤلّل .

المِحراب (قرآن) « وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب ، » : مقام الإمام من المسجد ، و— ارفع مكان في المسجد ، و— الغرفة ؛ و— الموضع العالي ؛ و— صدر البيت ؛ و— الموضع الذي يفرد الملك به فيتباعد عن الناس ؛ و— الاجمة وهي مأوى الأسد ؛ و— مجلس الناس ومجتمعهم . محاريب بني اسرائيل : التي كانوا يجلسون فيها كانه للمشورة في أمر الحرب . قال ابن الانباري : سمّي محراب المسجد ، لانفراد الامام فيه وبُعده من القوم . ومنه يقال : فلان حرب لفلان : اذا كان بينهما بُعد وتباغض . وفي المصباح : يقال المحراب مأخوذ من المحاربة ، لان المصلّي يحارب الشيطان ونفسه باحضار قلبه[1] .

خرب : ثقب ، وسرق . خرب : صار لصاً ، و— صار خراباً . الُخرْب : ثقب الابرة . الُخربة : كل ثقب مستدير ، و— خرق الاذن ، و— عروة المزادة ، وتخاريب : خروق كبيوت الزنابير[2] .

السريانية :

Hrab, hurba : (ح) نشف ، يبس ، جفّ ، خرب ، انهدم ، تلف ، اقفر .

Hrab, hurba : حرّب ، خرب

Ahrèb : خرّب ، هدم ، اقفر ، قتل ، أفنى .

Hrabtâ : خربة ، قفر .

Harbâ : حَرب ، قتال ، سيف ، سنان ، سكة الفدان[3] .

(١) اللسان ١ — ٢٩٣ ي ي ؛ التاج ١ — ٢٠٥ ي ي ؛ Lane ص ٥٤٠ ي .
(٢) اللسان ١ — ٣٣٥ ؛ التاج ١ — ٢٢٩ ي ي ؛ Lane ص ٧١٥ ي ي .
(٣) منّا ، ص ٣٦٠ ؛ Payne-Smith ١ — ١٣٦١ ي ي .

العبرية :

Ḥârab : (خ) يبس، جفّ، خرب، كان قفراً، خلا من السكان، هجم، حارب .

Ḥôrêb : يبوسة، حرارة .

Ḥârbâ : خربة، قفر .

Ḥêrêb : سيف، حربة[1] .

الاكّدية :

Ḥarâbu : أقفر، كان خراباً .

Ḥuribtu : خراب، برّية، قفر[2] .

الاصل الثنائي

العربية :

حرّ : كان سخيناً، ومن الحرّ يصدر العطش وهو يبوسة الحلق . خرَّ الماء : جرى بشدة ؛ خرّ : هوى ، خرّ الماء الارضَ : شقّها . وخرّ : سقط ، مرّ . وخرَّ الماء : صوّت ، و- الحجرُ : صوّت في انحداره . انخرّ : استرخى[3] .

العبرية :

Ḥôr : (خ) حرّ . و Ḥor : خرب، خرق، ثقب[4] .

السريانية :

Ḥar : كان حاراً، يبس، احترق، بحّ الصوت .

---

(١) Brown ص ٣٥١ ي ي .

(٢) Bezold ص ١٢٦

(٣) اقرب الموارد ١ – ١٧٨ ي ، و ٢٦٥ .

(٤) Brown ص ٣٥٩

Har : حفر ، ثقب ، نقب .

Hârâ : حرّ (شوب)

Hurtâ : حفرة ، خرق ، بحّة وخشونة الصوت .

Hrârâ : ثقب ، سمّ الابرة ، صماخ الأذن ، كهف[1] .

الحبشية :

Harana, : خار ، خرم ، خرب ، خرت[2] .

تنسيق وتعليل

١ — مما يجدر بالملاحظة ان الحاء والخاء تتعاقبان ليس في داخل العربية وحسب ، بل بين العربية وغيرها من الساميات . ففي العربيّة الحاء والخاء منفصلتان ؛ وفي العبرية ، يلفظ اليهود الاوربيون خاء فقط ، واليهود الشرقيون ، حاء لا غير . وفي السريانية لا يوجد الاّ الحاء وحدها ؛ وفي الحبشية ، حاء وخاء ، كما في العربية . اما الاكّدية فقد بقيت فيها الخاء وزالت الحاء ، فقام مقامها الهمزة .

٢ — الاصل الثنائي لكل هذه المدلولات في شتى اللغات الساميّة هو « حرْ وخرْ » ومن جملة خواصّ الحرارة خاصّتان : الاولى خاصيّة توليد اليبوسة والجفاف ، لسبب تبخيرها الماء . فلذا ورد في السريانية Har ، وفي العبرية Hôr ، وفي العربية حرّ : صار حاراً اي سخناً . ومن الحرارة الاحتراق وبحّة الصوت ، ثم اليبوسة . ومن اليبوسة : القفر والخراب .

٣ — الخاصيّة الثانية للحرارة الحركة بالنزول أو الهبوط بدرجات مختلفة . وعليه جاء في العربية خرّ ، وفي السريانية Har ، وفي العبرية Hôr ،

---

(١) منّا ، ص ٢٨٥ ؛ Payne — smith ١ — ١٣٥٥ اي ي .

(٢) Dillmann ع ٨٥ .

وفي الحبشية Harana بمعنى : حفر ، نقب ، شق ، جرى . ومن الهبوط او الانحدار ينشأ الصوت لعلّة اصطدام الجسم بغيره من الاجسام .

٤ — بزيادة الباء تذييلاً على الثنائي « حَر أو خَر » صدر « حرب وخرب » في مختلف هذه الالسن . وبتطوّر المبنى تطوّر المعنى . فورد في العربية : خرب بمدلول نزل بالخرق . ومنه الخُرب : ثقب الابرة ، والخُربة : خرق الاذن ، وعروة المزادة . وبقوة الحرارة تتولد اليبوسة . لانه بفعل تبخر مياه الأمطار تندر العيون والانهار ، وحيث لا مياه ، فلا عشب ولا اشجار ، ومـا ذلك سوى اليبس والقفر والخراب . فجاء في السريانية Hrab : يبس ، خرب ، انهدم ، اقفر . وفي العبرية Hârab : جف ، خرب ، اقفر ، خلا من السكان . وفي العربية خرب : صار خراباً . وفي الاكدية : Harâbu : اقفر ، كان خراباً .

٥ — من الخراب عموماً صدر معنى التخريب والاتلاف خصوصاً ، اي الحَرب . ومنه فعل حَرب : سلب اي اتلف المال لصاحبه ، والهجوم على الغير لاتلاف بدنه ، او نزع حياته . ومن ذلك في العربية : حارب ؛ وفي السريانية Hrab : قتل ، افنى . و Harbâ : حرب ، قتال ، سيف ، سنان ؛ وفي العبرية Hârab : هجم ، حارب ، Hêrêb : حربة سيف ، اي آلة الحرب ، والقتل .

٦ — من الحرارة المادية ينتقل المعنى الى الحرارة المعنوية ، وهي الشجاعة ، والتهيج ، والغضب ، والكلَب . فنجد في العربيّة : مِحرَباً ومِحرَاباً : الشجاع والشديد في الحرب ؛ وحرِب : أشتد غضبه ؛ وأحربه الحربَ : هيّجها ، واحرب النخلُ : اذا هاج وطلع . استحرب : صار كالحرب : اي الاسد ، لشدّته وهيجانه . وحرِب : كلِب .

وانت تتحقق انه بالثنائية والألسنية الساميّة يتجلّى تناسق هـذه المعاني باسلوب منطقي ، وان كان التنافر ظاهراً كل الظهور في حالتها الثلاثية .

المحراب

ولمعترض ان يقول : « والمحراب ! ايّ علاقة له بكل هذا ؟ اجل ان محرباً أو محراباً ، بمعنى الشجاع والشديد في الحرب ، يسوغ نظمه في سلك الفحاوي السابقة. لكن شتان بين هذه المدلولات ومدلولات محراب الأُخر. اذ اي لحمة معنوية بين الغرفة والحرب ، وبين الموضع العالي واليبوسة والقفر ، وبين مقام الإمام في المسجد والخرق والثقب ، وبين مجتمع الناس والسيف والحربة ؟ » ان الحق يضطّرنا الى الاقرار بصوابيّة الاعتراض. لان اللامنطقية بارزة كل البروز بين هذه العبارات. بيد ان كلمة « محراب »، والحق يقال ، ليست من باب « حرب او خرب » انما اهل المعاجم ادرجوها في هذه المادة ، استناداً الى ترتيب الحروف ، ودون مراعاة لما يطلبه التناسق المعنوي. وفي هذا الظَرف ، كما في عشرات بل مئات من الظروف، قد نشأ من عملهم الاختلال في المعجمية ، فتَشوّه وجهها بالمعايب المقيتة .

على ان الثنائية والألسنيَّة السامية تخرجاننا من هذا المأزق ، وتكشفان المنطقية التامة الكامنة في المعجمية تحت حجاب هذا الاضطراب الناشئة عنه هذه الشوائب . وللبلوغ الغاية يكفي تغيير حرف واحد ليس الّا ، اي ابدال البآء بميم ، فيحصل لدينا « محرام » عوض « محراب ».

طبقاً لنظريتنا الثنائية ، محرام مشتق من « حرم » الوارد في مختلف اللغات السامية ، والدال على المنع والصد والقطع . ففي العربية حرَم: قطع ، منع[1]؛ وفي السريانية Hrêm : حرم ، منع[2]؛ وفي العبرية Hâram : حرم ، وقف ، قدّس[3]؛ وفي الحبشية Harama : منع ، أبعد[4] ؛ وفي

---

(١) البستان ١ — ٤٩٨

(٢) مثنّا ص ٢٦٣ ي ؛ Payne-Smith ١ - ١٣٧٣ ي ي .

(٣) Brown ص ٣٥٥ ي ؛ Gesenius ١ — ٥٢١ .

(٤) Dillmann ع ٨٢ ي .

الآكدية Erêmu (الاصل بالحاء اي حرَمو) : منع ، و Irmu (حرمو) : حِمى ، ملجأ ، و Arnu أو Armu (حرُمو) : حرام ، خطيئة[1].

والثلاثي « حرم » ناجم عن الثنائي « حمْ » في حَمَى » : منع ، دفع[2]. وفي العربية يطلق « الحِمى » على كل ارض ، أو بيت ، أو حصن ، يُحمَى اي يُمنَع دخوله أو التصرف فيه. ولنا شاهد على ذلك في التأريخ العربي الجاهلي : « فقد رُوِي عن كليب بن وائل انه كان ملكاً بغى على شعبه حتى بلغ منه بغيه انه اذا امطرت سحابة في ارض، حمَى مكانها لينبت العشب ، فلا ترعى إبل في حماه. ويجعل وحشَ موضع في جواره ، فلا يجرؤ أحد ان يهيّجه أو يصيده . واذا أوقد ناراً ، فلا تُوقَد نار معها . واذا رعت إبله ، لا ترعى معها الّا إبل جسّاس بن مرة من بني شيبان بن بكر ، لما بينهما من المصاهرة والمخالطة[3]».

وفي الثنائي «حمْ» أقحِمت الراء ، فصدر «حرَم» ومنه جاءت كلمة « الحَرَم » أو « الحرام » بمعنى الحِمى الديني ، الذي لا يحل انتهاكه ، لقداسته . من ذلك « البيت الحرام » المسجد الذي يُحجّ اليه ، وهو الكعبة؛ و « البلد الحرام » ، مكّة ؛ و « الحرَم الاقصى » بيت المقدس ، و « الحرَم الخليلي » حبرون . ويطلق على كل مسجد ، أو مزار ، أو محل مقدّس . لان مثل هذه الامكنة محظور اتيان المنكر فيها ، لا بل كل عمل غريب عن الدين والعبادة .

فاذا تقرّر هذا ، بقي هناك مشكلة وهي ان لفظة « مِحرَام » على وزن مِفعال ، لا وجود لها في العربية العرشيّة . لكنها واردة وزناً ومعنًى في اللغة الحبشيّة. اذ ان كلمة « مِحرَام » تدل فيها على المعبد والهيكل[4].

(١) Bezold ص ١٢٧ .
(٢) البستان ١ — ٥٩٣ ي .
(٣) العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ، ج ١ ص ٢٣٣ .
(٤) Dillmann ع ٨٤ .

مما يحمل على القول بان «محرام» ليست عربية، بل حبشية جعزيّة. ومعلوم ان الاحباش قوم أصلهم من اليمن هاجروا، عابرين البحر الاحمر، الى الاصقاع الافريقية، عدة قرون قبل التاريخ الميلادي. فلغتهم لغة سامية شبيهة بالعربية الجنوبية، اي السبئية أو الحميريّة. والحال اننا نجد في هذا اللسان ذاته كلمة «مِحْرَم» (م ح ر م) بعين دلالة «مِحرَام» الحبشيَّة، اعني دلالة المعبد والهيكل[1]. على ان «مِحرَام» هذه أكيدة القراءة كما هي ثابتة المعنى في اللغة الجعزية المذكورة. وذلك لكمال ابجديتها التي فيها الحروف الصائتة كما فيها الحروف الصامته اي فيها الحركات. لا بل هناك ما هو أفضل، أعني ان كل حرف صامت ملتصقة به حركته؛ مما نشأ عنه ضرب من الابجدية المقطعية. وهذا ما لا وجود له في بقية اللغات الساميَّة، الّا الاكّدية التي كتابتها المسماريّة مقطعيَّة. أما الكتابة السبئية أو الحميرية فقد بقيت على حالة الابجدية الفنيقية، اي خلواً من كل حرف صائت، أو حركة، طويلة أو قصيرة. لذا من العسر بعض العسر قراءتها، الّا من باب التخمين أو بالمقايسة باللغات اخواتها؛ مما لا يزيل كل شك، ولا يثبت الصحة. من ذلك كلمة «محرم» او (م ح ر م). اننا نعرف معناها، وهو مضاهٍ لمدلول «مِحرَام» الحبشية، وهي مبتدئة بالميم مثلها؛ لكن لا يمكن الجزم بانها على وزن مِفعال، لعدم وجود حركة على الرآء. على ان من السائغ القول بانها عين اللفظة الحبشية، ويمكن قراءتها بالمدّ أو القصر، كما يقال زمن وزمان.

استناداً الى هذا، المرجّح عندنا ان المفردة قديمة، وهي سبئية حميرية، اي عربية جنوبيّة. وقد ولجت الحبشية، أو انها كانت في كلا اللسانين. وقد انتقلت الى العربية الشمالية، اي اللغة القرآنية الفصحى، مبدلة ميمها الاخيرة بباء. مما ليس بالغريب. فان الميم والبآء – وهما من مخرج واحد – كثيراً ما تتعاقبان. والامثلة على ذلك وافرة، منها احزاب وأحزام، لازم

(1) Brown ص ٣٥٥

ولازب ، طهار وطبار ، غيهب وغيهم ، زكم وزكب ، أربد وأرمد ، السباسب والسماسم[1] .

صفوة القول : « حرَبَ وخَرَبَ » الثلاثيان مشتقان من « حَرْ وخَرْ » الثنائيين . وفيهما معنى الحرارة المتصفة بالتجفيف والحركة : فتولّد من ذلك دلالات اليبوسة والخراب والقفر ، والاتلاف والحرب ، ثم الشدة والتهيج والغضب ، ثم الحفر والانحدار والجريان والهبوط .

اما كلمة « محراب » فقصيَّة فحاويها عن هذه المادة ، لانها ليست منها ، الَّا من باب العَرض ؛ وقد أُدرجت فيها لسبب نهج اهل المعاجم . فهي في الاصل العريق في القدم « محرَام » السَبئية الحميرية – الحبشية ، الدالة على المعبد والهيكل ، اعني الحِمى الديني ، والمحل المقدس . وقد أُبدلت الميم الاخيرة بباء في عربيتنا الفصحى . ثم نشأت في هذه العربية الشمالية بقية المدلولات ، كالمحل المرتفع من المسجد ، ومقصورة الملك ، والغرفة ، وصدر المجلس ، وما اشبه . وبذلك ظهر ضعف تفسير المفسّرين القائلين بان أصل « محراب » مأخوذ من المحاربة « لان المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه باحضاره قلبه » .

خ نَصَف والنصيف

نصَفَ :

نصَفْ الشيء : بلغ نصفه ؛ و– اخذ نصفه ؛ و– القومَ : اخذ منهم النصف ؛ و – الشيءَ بين اثنين : قسمه قسمين ؛ و– القدَحَ : شرب نصفه ؛ و– النخلُ : احمرَّ بعض بُسره وبعضه اخضر ؛ و– فلاناً خدمه .

جميع هذه المعاني ، معاني « نصف » تعود الى أصل اسميّ ، لا فعليّ ،

(١) المزهر ، للسيوطي ١ – ٢٧٤ .

وهو لفظ « نِصْف ». وكلمة « نِصف » تدل على قسمة الشيء الى جزئين متساويين ، وهو معنى مقيّد ، لا مطلق . لان مطلقه الدلالةُ على التجزئة، أو التقسيم بوجه عام ، مماّ لا يظهر في ادنى لفظ من مشتقاته .

زد على ذلك ان هناك لفظة يخال انها دخلت في جملة مشتقاته دخول عنصر غريب ، لا علاقة له بها ، ولا لحمة معنوية بينه وبينها ؛ الا وهو حرف « نصيف » وهذا تحديده الوارد في لسان العرب ، كما في غيره من الامهات :

« النصيف » العمامة ؛ و— كل ما غطّى الرأس ؛ و— العِقد ذو اللونين، و— الخِمار ، . يقال : نصفَت المرأةُ رأسها بالخمار ، وانتصفت الجارية ، وتنصّفت : اختمرت . النصيف : ثوب تتجلّل به المرأة فوق ثيابها كلها . سُمّي نصيفاً ، لانه نصَفَ بين الناس وبينها ، فحجز ابصارهم عنها . والدليل على صحة ذلك قول النابغة :

« سقط النصيفُ ولم تُرِد اسقاطه : فتناولته واتّقتنا باليد »

لان النصيف اذا جُعل خماراً فسقط ، فليس لسترها وجهها مع كشفها شعرها من معنى . » انتهى ما ورد في لسان العرب[1] .

ان من يقع لاول مرة على لفظ « النصيف » يتصوّره ، من القرائن ، برقعاً يغطي نصف الوجه . ومماّ يحمل على هذا الظن ان النساء المسلمات في بعض البلاد كنّ ، في عهد غير بعيد ، يستترن من النحر الى فوق الأنف ، والمسيحيّات كن يتحجّبن ببرقع أو نقاب رقيق مخرّم نازل من الجبهة حتى الانف . بيد ان التقصي يثبت ان هذا التصور وهمٌ بحت ، وان الدليل الوارد في اللسان وغيره من ان « النصيف يحجز بين المرأة وابصار الناس » لا يشفي الغليل ، وها اننا نبسط الرأي الذي ثبت لنا بعد التعميق في البحث على نور الثنائية والالسنية الساميّة :

---

(١) اللسان ١١ – ٢٦٣ ي ي ؛ Lane ص ٣٠٣٣ .

« النصيف » في الالسنة الساميّة

« النصيف » بمعنى الخمار ليس من مادة « نصف » ، بل من « صنَف » . واذا كشفتَ عن لفظة « صنَف » في المعاجم ، رأيت انها لم ترد من الثلاثي المجرد ، بل من المزيد ، وهو « صنّف » وهذه دلالاته التي تهمّنا :

« صنّفتْ ساقُه : تشقّقّتْ ؛ و— الارض والنبات : تفطّر للايراق ؛ و— شفتُه : تقشّرت ؛ و— الشجر : بدأ يورق ، فكان صنفين ؛ و— الثمر : ادركَ بعضه دون بعض ؛ و— الشجرُ : نبت ورقه[1] » .

الفكرة الاساسية المحسوسة : الشقّ ، التفطّر ، التقشر ، ممّا نجم عنه التقسّم ، التجزؤ ؛ ثم التميّز ، التنوّع ، التصنيف : تمييز او تنويع التآليف في الكتب .

أما « صنَف » فصادر عن الثنائي « صَفْ » المقحمة فيه النون للتوسع والتطور وزيادة المعنى .

« صفّ » الشيءَ : نظّمه طولًا مستوياً ؛ و— القومُ : اجتمعوا ؛ و— الامير جيشه ، فاصطفوا صفاً . « صافّ » الاميرُ الجيشَ : رتّب صفوفه في مقابل صفوف العدو . تصافّ القوم على المآء : تضافّوا واجتمعوا عليه[2] » .

تظهر فكرة التمييز ، والترتيب والضم ، والجمع ، في فعلين آخرين آتيين من الثنائي « صَف » وهما « رَصف » (بزيادة الرآء تتويجاً) و « صفَن » (باضافة النون تذييلًا) .

« رصف » الحجرَ : بناه فوصل بعضَه ببعض (صفّ) ؛ و— الحجارة في المسيل : ضم بعضها الى بعض ؛ و— المصلّي قدميه : ضمّ احداهما الى الأخرى ؛ و— اسنانُه : تصافّت ، وانتظمت ، واستوت . « تراصف » القوم

---

(١) اللسان ١١ — ١٠٠ ي ؛ Lane ص ١٧٣٥ .

(٢) اقرب الموارد ١ — ٦٥١

في الصف : تراصّوا ، اي قام بعضهم الى لزق بعض (انضمّوا). تراصف الشيء : انضم بعضه الى بعض[1].

« صفَن » الطائر الحشيش والورق: نضّده لفراخه ؛ و— ثيابه في شرجه: جمعها « تصافن » القومُ الماءَ : اقتسموهُ على الحصاة ، اي صفّوه وميّزوا اجزاءه بعضها عن بعض بالحصص[2].

اذن في « صَف » الثنائي ومشتقاته « نصَف » و(صَنف) صنّف ورصف وصفن » نجد فكرة التميز ، والتجزُّؤ ، بالتفطّر ، والتقسُّم ، والتنوع ؛ ثم بالترتيب ، والتنظيم بسبيل اللف ، والضم ، والجمع .

ولمعترض ان يقول « اين هذا كله من تعليل اشتقاق « النصيف » ؟ الجواب : ان الاستقصاء « بالثنائية » في ميدان العربية وحدها ليس بكاف دائماً ؛ فيقتضي العمد الى الالسنة السامية الأُخر . والحال هوذا ما تفيدنا به المعاجم العبرية والسريانية ، دون الاكدية والحبشية الخاليتين من هذه المادة .

العبرية :

Ṣânaf	(ص) : طوى ، لف ، جمع ، دوّر ، أدار .
Ṣanîf	: عمامة ، (مقلوبة « نصيف » العربية).
Ṣanîf Melûkâ	: عمامة ملوكيّة .
Ṣenîfâh	: عمامة نساء .
Miṣnêfêt	: عمامة عظيم الاحبار (عند اليهود)[3].

---

(١) اللسان ١١ — ١٨ ي ؛ Lane ص ١٠٩٤

(٢) البستان ١ — ١٣٤٠ .

(٣) Brown ص ٨٥٧ ؛ Gesenius ٢ — ١١٧٥

السريانية :

Snaf (ص) : صمد رأسه .

Sannêf ١) عصّب ، لفّ ، صمد رأسه بصماد

٢) صنّف ، جمع ، ألّف .

Masnaftâ ١) مَصنَفَة (لفظة معرّبة ، مسيحية ، كنسيّة ، طقسيّة) وهي منديل يغطي رأس الاسقف أو الكاهن وقت القدّاس عند السريان على اختلاف كنائسهم .

٢) نصيف ، صماد ، عمامة ، تاج[1] .

Saf (ص) : صف ، نظم ، نضد[2] .

Rsaf ١) رصف ، فرش ، بلّط .

٢) لبّد ، كتف ، غلّظ ، لزّز ، أدخل اجزاء جسم بعضها في بعض .

Rsifta : رصف ، رصيف[3] .

Nsaf : صفا ، راق ، كرم ، طاب ، نضر ، احمرّ ، اشتدّ .

Nsîfâ : نصيف ، جُنّة ، عمامة[4] .

تنسيق وتعليل

١ — « النصيف » في العربية لا يتفّق لفظه وتحديده . لانه لا شيء في « نصَف » يدل على اللف ، والجمع ، والتغطية ، ولاسيا تغطية الرأس .

---

(١) منّا ، ص٦٤٣ ؛ Payne-Smith ٢ — ٣٤٢٣ .

(٢) منّا ، ص ٦٤٤ ؛ أودو ٢ — ٣٨٤ .

(٣) Brockelmann ص ٧٤٣

(٤) منّا ، ص ٤٦٢ ؛ Payne — Smith — ٣٩٧٠ ي ي .

٢ — في العبريه والسريانية ، المادة مقلوبة بالنسبة الى العربية ؛ وهي « صنَف » وهذا لا مجرّد له في العربية . ومزيده « صنّف » يعني التمييز، والتنويع ، والتأليف ، والتنظيم . أما لفظة « الصنيف » فلا وجود لها لا بمعنى اللف والضمّ ، ولا بمعنى العمامة او الخمار ، اي غطآء الرأس .

أما في العبرية فمادة Sânaf أصلية ؛ وتدلّ على اللف والادارة . وهي مادّة عريقة في القدم ، واردة في اعتق اجزآء الكتاب المقدس ، اي في التوراة — وهي كتب موسى الخمسة — التي كتبت نحو ثلاثة عشر قرناً قبل المسيح[1] .

٣ — في العبرية ، فضلًا عن المادة الاصلية الفعلية ، هناك كلمتان تدلّان على الخمار أو العمامة ، وهما Sanîf و Misnêfêt . واللحمة المعنوية بينهما وبين الأصل بيّنة جليّة . امـاً الارميّة السريانيه فالمادة فيها أصليّة كذلك . لكن لم يرد فيها سوى Masnaftâ للدلالة على العمامة والخمار .

٤ — في السريانية وجود لمادة Nasafa . وهذه معانيها ؛ صفا ، راق، كرم ، احمرّ ، اشتدّ . وقد جآء بين مشتقاتها Nsîfâ ، المقابل للكلمة العربية « نصيف » الدائر البحث عليها . وهذا من الغرابة بمكان . اذ حين نرى تآلفاً بين معاني مشتقات Sanafa في العبرية والسريانية ، نجد تنافراً في اشتقاق Nsifâ من Nsaf في السريانية ذاتها .

٥ — الظاهر لنا من هذه التقصّيات الألسنيّة والثنائيّة ان الاصل الثنائي لكل هذه الالفاظ انما هو « صَفْ » الدال على الفصل ، والتمييز، ثم على التنظيم والضمّ واللف والجمع . وفي كل مشتقاته الثلاثيّة — مثل صفَن ، رصف ، صنَف ، — قد توّسعت معانيه وتطوّرت ، حسب مجرى التطوّر اللغوي الطبيعي .

---

(١) راجع الاسفار التالية : سفر الخروج ٢٨ : ٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ؛ و ٢٩ : ٦ ؛ و٣٩ : ٢٨ ، ٣١ . سفر اللاويين أو الأحبار ٨ : ٩ ؛ و ١٦ : ٤ . سفر اشعيا ٣ : ٢٣ ؛ و٢٢ : ١٨ ؛ و٦٢ :٣ .

٦ — ان الصيغة الدالة على غطاء الرأس ، أو الخمار ، هي صيغة Sanîf ومثلها Misnêfêt. وهي قديمة في العبرية ، كما ظهر اعلاه ؛ وكذلك في السريانية . أما في هذه اللغة الإرمية ، فقد قلب Sanîf الى Nasîf ، كما يرى مقلوباً في العربية ؛ في حين ان هذا القلب لم يجرِ في العبرية .

٧ — بما انه لا وجود في العربيّة لكلمة « صنيف أو مصنفة » بمعنى الخمار او العمامة ، يلوح لنا انها دخيلة في لغتنا . لكن عن اي طريق ؟ أعن العبرية رأساً ؟ أم عن السريانية توًّا ؟ أم عن العبرية بسبيل السريانية ؟ من المعلوم ان العرب كان لهم علاقات بالعبريين والارميّين على الاطلاق ، سواء قبل الاسلام أم بعده . في نظرنا انه من باب اكثرية الاحتمال ، ان لم نقل من باب التأكيد ، انها دخلت مقلوبة الى العربية عن العبرية رأساً . لكن ما الرأي في وجود Nasîf المقلوبة في السريانية ؟ لا يسوغ القول بانها قلبت عن Sanîf في داخل هذه اللغة ، لعلمنا ان صيغة فعيل لا ورود لها فيها من مادة Snaf . فهل دخلت السريانية مقلوبة عن العبرية ؟ هذا محتمل ؛ بيد انه يجوز ايضاً انها ولجت السريانية عصرَ زهو العربية ، في القرون الوسطى ، تطبيقاً على كلمة « نصيف » الدخيلة من العبرية .

٨ — مهما يكن من امر ، فهذا لا يعني ان العرب لم يعرفوا تغطية الرأس للرجال والنساء ، الاّ بعد ان دخلت الى لغتهم لفظة « نصيف » مقلوبة عن Sanîf . كلّا ! فان جميع الساميين ، والعرب في جملتهم ، لا بل البشر عموماً ، ولاسيما النساء بينهم ، من عاداتهم المألوفة المقدسة ستر الرأس . (اللهم الاّ عند انصار الازياء العصرية ، الماشين حاسري الرؤوس نساءً ورجالاً) والدليل الساطع على ذلك ان للعرب الفاظاً شتى للتعبير عن غطاء الرأس ، منها العمامة ، والصمادة ، والعصابة ، والكوفية ، والخمار ، والمِعجر ، والجُنّة ، والبرقع ، والقناع ، والنقاب ، والازار ، والملاءة وغيرها .

٩ — بيد انه من الممكن ان تدخل كلمة من لغة الى لغة أخرى

مع وجود مقابل لها فيها . اذ للدخيل دواعٍ متعدّدة ؛ وليس سببه الحاجة وحدها .

الخلاصة : على رأينا ان « نصيف » مقلوبة عن « صنيف » . وقد ولجت حظيرة العربية من العبرية رأساً . ويحتمل انها بهذه الحالة حالة القلب تسربت الى السريانية ، إما رأساً عن العبرية ، أو بسبيل العربية .

د زَمزَم والزَمزَمَة

يجدر بنا تناول هذا الموضوع من ناحيتين : الناحية الاشتقاقية الثنائية والالسنيّة ؛ ثم الناحية التاريخية ؛ وبعد ذلك نستطيع استخراج النتائج .

الناحية الاشتقاقية

المادة « زَمْ ، زَمزَم » واردة في العبرية والسريانية والعربية .

العبرية :

أول فحوى Zam الشد والجزم . ومن باب المجاز جاء هذا اللفظ بمعنى : تأمل ، عزم ، ارتأى . وكلها تدل على الحزم .

Zamzam : طن ، رن . — Zimzum : طنين ، صنج .

Zamzam : مزمار[1] .

السريانية :

Zam : شدّ ، زمّ ، طنّ ، رنّ ، صرّ ، خزَم .

Zamzem : زمزم ، رعد ، هدر ، تراطن ، ادار صوته في خيشومه وحلقه دون تكلُّم ، ذاع انتشر .

(١) Elmaleh ع ٤١١ ي ؛ و Brown ص ٣٧٣ .

Zmâmâ : زمام ، خطام ، خزامة ، شنف ، قرط .
Mazmânûtâ : زمزمة ، دويّ ، طنين .
Mzamezmânâ : زمامة ، مجوسي[1] .

العربية : زمّ : شدّ ؛ و— الرجلُ برأسه ، والبعير بأنفه : رفع رأسه لألم به . و— القربَة : ملأها فارتفعت ؛ و— نابُ البعير : نجم . و— الزنبورُ : صوّت . انزمَّ : اشتدّ . الزمام : ما يزمّ به . وزمام النعل : سيرُها الذي يشدّ به الشسع . زمزم الشيء : حفظه وجمعه وردّ أطراف ما انتشر منه . وزمزم الشيء : سُمع صوته من بعيد وله دويّ . و— الرعدُ : صوّت متتابعاً ؛ و— الخيلُ حمحمت ؛ و— النارُ : سُمِع للهيبها حسيس ؛ و— شفتا الجمل : تحركتا . زمزمة العُلوج : تراطنهم عند الأكل وهم صموت لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ، لكنه صوت يديرونه في خياشيمهم وحلوقهم ، فيفهم بعضهم على بعض . قال الجوهري : الزمزمة : كلام المجوس عند أكلهم . وفي حديث عمر : كتَب الى عماله في امر المجوس : « وأنهِهم عن الزمزمة » . وأصل الزمزمه صوت المجوسي وقد حجا . ماء زَمزَم وزمازم : كثير . زَمزَم : بئر في مكة . ماء زَمزَم وزمازم وزَوزم : اذا كان بين الملح ووالعذب[2] .

تطوّر معاني « زَم وزَمزَم »

في اللغات الساميّة الثلاث الوارد فيها هذا الحرف ، يدل الثنائي ومكرّره على الشدّة ، أولاً في العمل ، ومنه الحزم والربط ، ثم الحفظ والجمع والحركة ، ثم النُجوم ، وانبجاس الماء من العين . واذ كان عمل نبوع الماء يصدر عنه صوت ، جاء « زم ، وزَمزَم » بمعنى الصوت الخفي ، أو الصوت البعيد ،

(١) منّا ، ص ٢٠١ ؛ القرداحي ج ١ ص ٣٥٣ .
(٢) اللسان ١٥ — ٦٦٤ ي ي .

أو حسيس لهيب النار ، أو حمحمة الخيل ، أو دوي الرعد ، ثم صوت تكلم الانسان ، أو ترنيمه ، واخيراً تخصيصه لقبيل من الناس ، وهم العلوج أو المجوس ، اي كلامهم أو تراطنهم عند الأكل .

الناحية التاريخية

مصدر قصّة « زمزم » الحديث النبوي والتقاليد الاسلامية .

« زَمزَم » بئر قديمة ترجع الى زمن اسماعيل (ع). فأن أمه هاجر لما نزلت به الى مكان البيت ظمِيء ولدها ، وطلبت المآء فلم تجده . فجآء جبرائيل (ع) وبحث الارض بعقبه – وفي روايةٍ غمزها بعقبه – وكلتاهما في صحيح البخاري – فنبع المآء على وجه الارض . فكان ذلك نشأة « زمزم » . وادارت هاجر عليه حوضاً ، خيفة ان يفوتها المــآء قبل ان تملأ قربتها . قالوا : ولو تركته ، لكانت زمزمُ عيناً تجري على وجه الارض[1] » .

جآء في المعلمة الاسلامية ، باللغة الافرنسية ، ما هذا ملخصه : « طبقاً للحديث والتقليد الاسلامي ، يرتقي أصل بئر زمزم الى اسماعيل . وهاجر حصرت ماءه الذي انبثق بغمز عقب جبرائيل . وهي بئر مكرمة منذ القديم ، احترمها الجرهميّون ، واعتبرها الفرس في الجاهلية . اذ يقول شاعر منهم ان ساسان بن بابك جد الاسرة الساسانية (التي حكمت من سنة ٢٢٦ – ٦٣٢ ب . م .) زار هذه البئر . وعلى رأي المسعودي ليس الجرهميّون طمَروا البئر ، ودفنوا فيها كنوزهم ، بل الفرس[2] » .

اما البتنوني فيورد ابياتاً لشاعرهم بعد الاسلام :

وما زلنا نحجّ البيتَ قِدماً : ونلقى بالاباطح آمنينــا
وساسان بن بابك سار حتى : اتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزَمزَمَ عند بئر : لاسماعيل تروي الشاربين

(١) مرآة الحرمين ، لمؤلفه ابراهيم رفعت باشا ، ج ١ ص ٢٥٥
(٢) المعلمة الاسلامية، بالفرنسية، بقلم المستشرق Carra de Vaux ، ٤ ص١٢٨١

وقال غيره :

زَمزَمَ الفرسُ على زَمزَم : وذاك من سالفها الأَقدم[1] .

وحسب رأي البتنوني المذكور ، ان الاعراب يكادون يلصقون « زمزم » بنفس اركان الحج . وان الواحد منهم اذا حلف يقدّم « زمزم » على مقام ابراهيم فيقول : « والبيت الحرام وزمزم والمقام ، فعلت هذا » بيد ان الغريب ان لا ذِكر « لِزَمزَم » في جدول مناسك الحج على المذاهب الاربعة[2] » .

« وللحجيج اعتقاد كبير في مآء « زَمزَم » . وأما طعمه فيقع في اذواق الناس على نسبة اعتقادهم . فمنهم من يجده حلواً كالعسل ، وغيرهم يرى خلاف ذلك . قال المعرّي :

« تبارك أنهار البلاد سوائح : بعذب ، وخُصّت بالملوحة « زمزم »

وبالحقيقة ان أهل مكة ، لاسيما في غير موسم الحج ، لا يشربون منها لملوحتها ، اي لكثرة ما فيها من الصودا والكلور والبوتاس[3] » .

***

بعد سرد هذه النصوص علينا تمحيصها ، فنتساءل بادئ بدء ، الى ايّ من هذه المعاني الموردة اعلاه يخلق بنا منطقياً ان نعزو أصل زَمزَم . أإلى زمزمة المجوس ، أم الى زمزمة العرب ؟

أما رأينا الخاص فهو ان أصلها من « زَمزَم » العرب ، ولا من « زمزمة » المجوس .

اولًا : ان بئر زَمزَم » كانت موجودة في بلاد العرب ومعروفة بهذا الاسم ، قبل منشأ الدولة الساسانية التي كان مؤسسها الحقيقي ، طبقاً للتاريخ الصحيح ، الملك اردشير الاول من القرن الثالث ب . م[4] .

(١) الرحلة الحجازيّة ، للبتنوني ، ص ١١٣

(٢) البتنوني ١٧٨ .

(٣) البتنوني ، ص ١٢٧ .

(4) Larousse du XX. siècle, 6, p 201

ثانياً : ان الشواهد الشعرية الواردة اثباتاً لذلك وُضعت بعد اسلام الفرس ، وباللغة العربية ، ودون ذكر اسم من قالها . والحال ان ابن العيني يقول في عمدة القارىء ، وهو تفسيره لصحيح البخاري[1] : « ان الفرس ، بعد اسلامهم ، بغية منافسة العرب ، حاولوا اثبات التقليد الذي به يدّعون انهم من ذرية ابراهيم . ولهذا يزعمون ان ساسان بن بابك كان قد زار الكعبة ، وهو الذي طمر في البئر المذكورة السيوف والزمازم . ومن هنا جاءت تسمية البئر « زَمزَم »[2] .

واستناداً الى هذا الرأي ، رأي ابن العيني ، يسوغ الاستدلال على ان هذه الأبيات موضوعة . هذا بمعزل عن ان المعنى المطلق فيها على « زمزم والزمزمة » ليس الصوت بل دلالة الأزّمة ، أو دلالة التجمع ، كما شرح البتنوني كلمة « زَمزَم »[3] .

ثالثاً — مما يجب ملاحظته ان نسبة الزمزمة الى المجوس ليست من باب المديح ، لا بل من قبيل السخرية — على مثال ما يفعل ابناء كل لغة بالاغراب الذين يسيئون التكلم بها — والزمزمة مرادفة للرطانة . وهذه تدل على الكلام الاعجمي ، والرُطيني هي الكلام غير المفهوم . و « رَطَنَ » الثلاثي صادر عن الثنائي « طَنّ طنيناً » : صوت الذباب أو غيره ، أو صوت الطست والناقوس[4] — وكلّه لا يُنسب الى الناس . اذن اسم « زَمزَم » لا يأتي من زمزمة المجوس .

فهل هو ناجم عن « زَمزَم » العرب ؟ الجواب : نعم : . اولاً : ان العرب هم الذين اطلقوا هذا الاسم على البئر ، وذلك اعتماداً على الحديث القائل بأن الماء نبع أو انبجس أو زَمّ أمام اسماعيل وأمه هاجر بغمز عقب

---

(١) عمدة القارىء ، تفسير صحيح البخاري ، لابن العيني ، ج ٤ ص ٦٤٥ .

(2) Pélérinage à la Mekke, par Gaudfroy—Demombynes, p. 71 s s.

(٣) البتنوني ، ص ٢١٣

(٤) اقرب الموارد ١ — ٧١٨ .

جبرائيل . وهذا موافق لمعنى «زمّ» الدال، كما رأينا اعلاه، على الشدة والارتفاع والامتداد والتفجّر .

ثانياً : تحققنا ان «زمّ» يعني الشدة الحاصلة عنها الملوحة . والحال عرفنا من شهادة البتنوني، وقبله، من شهادة المعرّي، ان مآء زمزم مالح .

ثالثاً : ان «زَمزَم» يعني المآء الكثير الغزير، وهي خاصيَّة «بئر زَمزَم» فان ماءها وافر . ويُذكر أنه في القرن العاشر للميلاد فاض فيضاناً غير مألوف غرق فيه عدد من الحجاج[1] .

ذ لبن ولُبنان

نبسط اولًا معاني لفظة «لبن» في الألسنة الساميَّة . ثانياً : نقارنها طبقاً للاصول الالسنية . ثالثاً : ان لم نفز بالمرام، نردّ الأصل الى الثنائي، حسب النظرية الثنائيَّة . رابعاً واخيراً : نستنتج ما يجدر استنتاجه في شأن أصل كلمة «لبنان» .

١ً — بسط معاني «لبن»

الاكَّديّة :

Labânu : لَبِن، ضرب لِبناً .

Usalbanu : (ش) رصف باللِّبن أو الآجر .

Talbânu : بنآء باللِّبن .

Lebênû : مبلّط باللبن .

Lebettu (lebentu) : لِبنَة، آجرة، صفيحة .

Lubnu : رصيف من لِبن .

(١) المعلمة الاسلامية، بالفرنسية، في الموضع المذكور، ج ٤ ص ١٢٨١ .

Malbanu : شكل ، لِبن أو آجر[1].

الحبشية :

Labana : لبن ، ابيض[2].

الارميّة السريانية :

Labbên : عمل ، ضرب لِبناً .
Lbettâ : لِبنة ، طين .
Lebbânâ : لبّان ، ضارب اللّبن .
Lebbânûtâ : صناعة عمل اللبن .
Malebnâ : ملبَن ، قالب اللّبن ، محمل اللّبن .
Lban : أبيض (مهجور ، ارتجالي) .
Talbûnâ : بياض ، سناء .
Labbânûtâ : لَبَن ، رائب ، ترويب .
Lbuntâ : لُبان ، بخور[3].

العبرية :

Lâban : صنع لِبناً (ارتجالي) .
Lâban : لبن .
Lebênâ : لِبنة ، آجرة ، لِبن مشوي .
Lebênûn : (يقال عن الصلصال الأبيض الطباشيري الذي يُصنع منه اللّبن) .

---

(١) Bezold ص ١٥٧
(٢) Dillmann ، ع ٤٢
(٣) متّا ، ص ٣٦٨ ؛ Payne — smith ٢ — ١٨٨٥ ي ي .

Malbên : قالب اللبن ، مِلبَن .

Lâban : كان ابيض .

Hilbên : بيَّض ، نقَّى ، طهَّر .

Lâban
Lbânâ } أبيض .

Lbânâ : الأَبيض ، البيضآء ، القمر .

Lebnâ : بياض .

Lebânâ : لُبان ، بخور[1].

العربية :

لَبَن الرجلَ : سقاه اللَبَن . أَلبَنَ القومُ : كثُر لبنُهم . أَلبَنَت الناقةُ : نزل اللّبن في ضرعها . إِلتبَن الرضيعُ : طلب اللّبن . اللابن : ساقي اللَّبَن . اللَّبَن : سيّال لِزج ابيض في أناث الناس والحيوان، يتحلّب في الضِرع من غُدُد اسفنجيَّة ، ويُغتَذَى به . لَبَنُ كل شجرة : ماؤها . اللّبُون : شارب اللّبن ومُحبُّه . المِلبَن : المِحلَب ، مصفاة اللبن . اللّبْن واللَبِن : المضروب من الطين مربّعاً للبنآء . لِبْنَة ولَبِنَة : واحدة اللّبن ، طين يُجبَل ويُقطّع ويُشوَى بالنار . لبَّن الرجلُ : إِتَّخذَ اللّبن وصنعه للبنآء . لبَن الشيءَ : ربّعه اي جعله على شكل لبنة ، وهي تكون عادةً مربّعة . المِلْبَن : قالَب الآجر ، المَحمَل (كانت المحامل مربّعة فغيَّرها الحجّاج ، لينام فيها). شبه المحمل يُنقَل فيه اللَبِن . المُلبّن : صانع اللّبِن . لبَن الرجلَ بصخرة : ضربه بها شديداً كانه لصقه بها . لَبِنَ لبَناً : اخذه وجعٌ في عنقه من الوسادة . تلبَّن الرجلُ : تمكَّث ، تلدّن . اللّبَان : ما بين الثديين من الصدر ، و— صدر ذي الحافر . الملبُون : الجمَل السمين الكثير اللحم ، و— الفرس المُغَذّى والمُربّى باللّبَن[2].

---

(١) Brown ص ٥٢٦ ي ؛ Gesenius ١ — ٧٤٠ ي

(٢) التاج ٩ — ٣٢٨ ي ؛ اللسان ١٧ — ٢٥٥ ي ي ؛ القاموس ١ — ٢٦٥ .

٢ تنسيق وتعليل ألسُنيّ

١ — الظاهر ان الحرف « لبن » ليس اصلًا في اللغة الحبشية . اذ لا وجود فيها سوى لكلمة Labana لبَن . فالمحتمل انه دخيل فيها من العربية أو العبرية .

٢ — لا في العبرية ، ولا في الاكّدية ، من دلالة للفظة « لبن » على الحليب أو ما يُستَخرج منه، كالرائب، أو الزبد . نعم اننا نجد في السريانية للفظة Labbânûtâ معنى : « لَبن ، رائب ، ترويب » بجانب دلالة : « صناعة اللّبن » بيد ان هذه الدلالة ليست الّا نادرة ، واغلب المعاجم خالية منها . واذ كانت غير شاملة كل الاشتقاقات أو اكثرها ، فيخلق بنا ان نعدّها غير اصلية ، ربما انها دخيلة من العربية .

٣ — بالحقيقة ان معاني « لَبن » الدالة على الحليب وما يُستَخرج منه لكثيرة في لغة الضاد .

٤ — من جهة أُخرى ، لا نجد في العربية ان « ابن » يدلّ على فكرة البياض .

٥ — في العربيّة وحدها دلالة خاصّة للفظة « لبن » ، وهي فكرة التجمّع ، والالتصاق ، والتلبُّد ، والتضخُّم أَو السِمَن .

٦ — جملة المعاني المحتوية في كلمة « لبن » ، في مختلف اللغات الساميّة الاخوات هي :

ا — الدلالة على الحليب ، أَو اللّبَن ، أَو الزبد وما يُستخرج منه .
ب — الدلالة على الآجر وصنعه وما ينوط به .
ت — على البياض وما يرجع اليه .
ث — على فكرة التجمّع والتلبّد والسِمَن .

٧ — في العبرية ، والسريانية والحبشيّة ، أصل الكلمة ليس فعلًا تصدر عنه المشتقّات الباقية ، بل اسم يشتق منه الفعل ارتجالًا .

٨ — في العربية ، الأَصل فعل ، لكنه ارتجالي ، اي مشتق من اسم « اللَبِن » . وهو كذلك بمعنى : اتخذ اللَبِن وصنعه . الّا انه اصلي بمعنى : تألُّم العنق من إطالة التصاقها بالوسادة ، ممّا ينشأ عنه تشنُّج او تعقُّد .

٩ — في الاكدية الفعل أَصلي ، لا ارتجالي ، اذ يدل من ذاته على صنع اللَبِن .

١٠ — معنى البياض الدال عليهِ « لبن » في العبرية والسريانية ليس باصلي ، بل ثانويّ صرفاً ، لانه لا يدل على تركيب « اللَبِن » اي الآجر ، أَو « اللَبَن » أَي الحليب ، بل على لونهما .

هذا ما يمكن استدلاله من هذه النظرة الأَلسنيَّة في لفظة « لبن » ، بيد ان ذلك لا يحلّ مشكلًا ظاهراً لعينَي الباحث ، مما يشق عليه بقاؤه فيحاول حلّه .

هذا المشكل هو التباين الواقع بين مدلولات هذه الكلمة . اذ كيف التوفيق بين فحوى «اللَبِن» ، أَي الآجر ، وبين فحوى «اللَبَن» اي الحليب أو الرائب ؟ فضلًا عن هذا ، فهناك معنى خاصّ بالعربيَّة ، وهو فكرة الالتصاق ، أو التجمع ، أو السِمَن ، المحتوية في مثل هذه العبارات التالية : لَبَن الرجلَ بصخرة : ضربه بها شديداً ، كانه أَلصقها به . وكذا عن العصا . ثم لَبِن لَبَناً : أَخذه وجعٌ في عنقه من الوسادة . لان العنق تتلبد عضلاتها ، اي تتجمع فترِم . أخيراً : المَلبون : الجمل السمين ، الكثير اللحم ، المتلبّده .

يمكن ان يقال ان اللفظة قد سارت في كل لغة من هذه اللغات في سبيل من التوسّع ، والتطوّر خاصّ بها . أجل ! لا غرابة في ان اللغة الاكّديّة ، اي لغة البلاد البابلية تحوي معنى « اللِبِن » اي الآجر وصنعه . لانها لسان ديارٍ اراضيها كلها صلصاليّة متكونه ممّا يقذفه من الطمي البحر والأنهار . وليس فيها حجر البتة . فهي ربوع « اللَبِن » . وناهيك عن برج بابل الذي قال اصحابه ، عند بنائه : « تعالوا نصنع « لِبناً » ونطبخه طبخاً . فكان لهم اللبن بدل الحجارة ، والحُمر كان لهم بدل الطين » .

والُحمر اي القار متوّفر ايضاً وكثير الاستعمال في تلك البلاد ·

من ناحية أخرى ، ليس بالغريب ان في العربية وحدها ، دلّت لفظة « اللَبَنْ » على الحليب . لان العرب كانوا دائماً في القديم ، ولا يزال قوم منهم رعاةً ، أي ارباب إبل وضأن ومعزى · وهذه كلها غزيرة اللبَن الذي يعيش به اصحابها ·

مهما يكن من امرٍ ، فالمشكل لا يزال قائماً ، مشكل التضارب ، لا بل التنافر بين معاني هذا الحرف ، أي اللامنطقية . ان المشكلة ، ان كانت عسرة الحلّ ، لا بل متعذّرته بالثلاثيّة (Trilittéralisme) فالحل هيّن بالثنائية(Bilitteralisme) ·

٣ً رد « لبن » الى اصله الثنائي

ممّا يجب على كل باحث نزيه ، وممّا يطيب لنفس كل ابن برّ بالعربية ، غيور على مقامها ، ذابّ عن حياضها ، أجل ممّا يخلق بالمتقصّي في اللغات الساميّة ان ينشره هو ان العربية أقدر اخواتها عـلى فك مغاليق مثل هذه المعمّيات ·

ففي هذا البحث ، تفسح لنا لغتنا المجال للتدرّج من الثلاثي الى الثنائي بأحد معاني « لبن » الخاص بها ، لما هي عليه من الغنى من حيث الاصول والمدلولات . فقد قلنا ان من دلالات « لبن » ، الالتصاق ، والتضخّم ، والسِمَن · فهذا المعنى ذاته موجود في الثنائي « لَبْ » الوارد في عامـة الالسن الساميّة ، ويطلق ، في المعنى الوضعي المادي المحسوس ، على التجمّع أو التلبّد أو التجمّد . ودونك الكيفية :

الحبشية :

لُب[1] : Leb

---

(١) Dillmann ع ٤١ ·

الأكّدية :

Libbu : لُبّ . Lib isi (ص) : الجُمّار ، لُبّ النخلة[1] .

العبرية :

Lêb : لُبّ . وقد سُمي هكذا لسبب الشحم المحيط به . منه الفعل Lâbab : سَمِن . والسِمَن صادر عن تجمع وتكثّف الدهان والشحم[2] .

السريانية :

Lebba, leb : لبّ ، لباب ، لباب الحنطة ، والجوز ، وهي المادّة المتجمِعة في الداخل Bar lebba : لب ، لبـاب ، لبّة أو حيزوم ، اي أعلى الصدر ، وهو الجزء المتجمّع ، أو المتلبّد فيه اللحم والشحم . Lebbûtâ : لُبّ ، جُمّار ، شحم النخلة . Labbêb : شجّع ، اي جمع القوى وزادها في الخائف[3] .

العربية :

لَبُبَ : صار ذا لبّ ، أي تفخّم الجزء الداخلي فيه ، فتعقّد فتكثّف .

لُبَّ : لَزِم المكان ، اي التصق به ، فتلبّد فيه . لبّب فلاناً : أخذ بتلبيبه ، اي جمع ثيابه عند صدره أو نحره ، ثم جرّه .

اللَّبَب : ما يُشَدّ من سُيُور السرج على اللبّة من صدر الدابّة .

اللَّبَّة : المنحر ، وهو الجزء المتضخّم من الصدر .

اللُبَاب : الخالص من كل شيء ، اي المعصور المتجمّد ، مأخوذ من لباب الجوز ونحوه[4] .

---

(١) Bezold ١٥٧ .

(٢) Brown ص ٥٢٤ ؛ Gesenius — ١ — ٧٣٨ ي .

(٣) اللسان ٢ — ٢٥٥ ي ي ، التاج ١ — ٤٦٤ ي ي ؛ القاموس ١ — ١٢٧ .

(٤) منّا ، ص ٣٦٦ ؛ Payne — Smith ٢— ١٨٧٧ ي ي .

هذه فكرة التجمّع والتكثُّف موجودة في جملة افعال ثلاثيّة، وأصلها كلها من « لبْ ». من ذلك في العربية : لَبَد الشيء بالشيء : ركب بعضه بعضاً، أي تجمّع . من الثنائي « لبْ » . والدال زائدة تذييلاً . لَبَّد شعره : لزقه بشيء لزج حتى صار كاللبد، وهو كل شعر أو صوف لصق بعضه ببعض . كذلك « حلَب » الدال في سائر الألسنة السامية على السائل الذي تدرّه من اثدائها أناث البشر والحيوانات . فهوَ من « لبْ » والحاء زائدة تتويجاً .

فاذا وقفت على دلالة هذا الثنائي «لبْ»، المراد به التجمّع والتكثُّف والتلبُّد، اعلم انه قد أضيف اليه حرف النون في « لبن » لزيادة وتوسّع وتطوّر في المعنى . وبالحقيقة ان هذه الدلالة الاصليّة كامنة في « لبن » على اختلاف معانيه .

ولهذا فلا غرابة بعدُ في اطلاق كلمة « اللّبن » على الحليب من جهة، وعلى الآجر من جهة أخرى . فان معنى «لبْ» كان عاماً في اللغة الساميّة الاصلية، حين كان الساميُّون قوماً واحداً، قبل تفرقهم . وبزيادة النون، قد تطوّر في وزن « لبن » الى معانٍ متباينة حسب احوال كل شعب، كما بيّناه اعلاه . ويظهر هذا المنطق في تطور المعاني من تحديد « اللّبِن » أو الآجر، ومن وصف « اللّبَن » أو الحليب .

من خواصّ الحليب انه اذا ترك في الهوآء المطلَق، فبعدَ ساعات تنفصل كمّية من مجموعة طافيةً فوقه . وهذا ما يدعى الزبدة، المركّبة من كريات الشحم فيه . ومن هذا التخثّر، أو التجمّع، يتولّد الرائب، أو ما يسمّى في اللهجات الدارجة، « لبناً » . ومنه كذلك يصدر السّمن والجبن . وفي كل ذلك يحدث تراكب اجزاء منه على اجزآء، اي تجمّد أو تلبُّد .

كذا الشأن في « اللّبِن » أو الآجر . فانه يجدّ بكونه طيناً يُجبَل قطعاً قطعاً . فيجفّف بالشمس، أو يُشوى بالنار، لاجل البنآء . وفي هذا

بالعمل برمّته ثابتةٌ فكرة التجمّع والتراكب والتعقد والتلبد .

هكذا توصلنا ، بطريقة الثنائية ، الى التوفيق بين معاني « لبن » المتضاربة في اللغات السامية ، تضارباً ظاهرياً .

٤ً أصل كلمة « لبنان »

فعقيب هذا البسط وهذا التنسيق الذي اجريناه ، يجدر بنا ان نتساءل من اي معنى من معاني « لبن » صادر لفظ « لبنان » .

الجواب : ممّا لا مشاحة فيه ان « لبنان » ليس بمشتق من مدلولات « لبن » الاصلية ، اي لا من دلالة التلبّد أو التجمّد في « اللّبَن » ، الحليب ، او « اللّبِن » ، الآجر . لان لا علاقة طبيعيّة بين الجبل وكيفيّة تركب الحليب أو الآجر . على ان في « اللّبَن أو اللّبِن » صفة خارجيّة ، نشأ منها معناه الثانوي ، ألا وهي لون البياض . والحال ان جبل لبنان ، في فصل الشتاء ، مكسوّ اكثره بالثلوج التي تعيده لونها الابيض . ولهذا فهو مدعو بالسريانية . Tûrâ dhêwârûtâ اي جبل البياض . أو Tûrâ dtalgâ : جبل الثلج . والعرب يسمّونه : جبل الثلوج[1] . وقد ورد في سفر ارميا (١٤:٢٨) « هل يخلو صخر الصحراء من ثلج لبنان ؟ » .

صفوة القول : ١ً : من « لَبْ » الثنائي الدال على التراكب والتلبّد ، اشتق « لبن » المراد به عين الدلالة بتوسع وزيادة . ٢ً : فدلّ « لبن » من جهة على « اللّبِن » أو الآجر ، المصنوع بهذه الطريقة ، طريقة التراكب أو التجمع ؛ ومن الجهة الأخرى ، على « اللّبَن » أو الحليب او الرائب ، المتكوّن كذلك بتراكب اجزائه بعضها على بعض . ٣ً : ومن لون اللّبَن واللّبِن الأبيض ، دلت لفظة « لبن » على البياض . ٤ً : لاجل بياض الثلوج

---

(١) Gesenius ١ — ٧٤١ .

المتراكمة عـلى قمم الجبل الفنيقي ، فصلاً طويلاً من السنة ، أُطلِق عليه اسم « لبنان » اي الابيض .

هذا كان لقبه في سالف الازمان ، وبهذا اللقب ورد ذكره في كل التواريخ القديمة ، ولاسيا في التنزيل العزيز .

٢ القمر ، الشهر ، التاريخ

١ القمر

يمكن القول بان كلمة « قمَر » عربية محضة . لانه ليس لها من أثر في الاكّديّة ، والعبرية ، والحبشيّة . أجل اننا نجد في السريانية Qmar ومعناها : نطّق ، زنّر ، قمط ، قيَّد ؛ و Qarma : زنّار ، نطاق ، منطقة البروج ؛ و Qumra : قيد ، منطقة . لكن الراجح انها دخيلة في السريانية من الفارسيّة . والحرف في هذه اللغة « كَمر » ؛ وهو دخيل في العربية ايضاً ، ودلالته : الزنّار والمنطقة . وقد ولجت هذه اللفظة في السريانية بابدال الكاف قافاً ؛ فاضحت Qumra ؛ وصيغ منها الفعل Qmar : نطّق ، قيَّد[1] .

أما في العربية فالفعل « قَمَرَ » يدلّ على اللعب بالمراهنة . من ذلك يُراد به ايضاً : سلَبَ الرجلَ مالَه . ومنه : القمار : كل لعب يشترط فيه ان يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً . ومنه « القمَر » ، اي الكوكب الذي يدور حول الارض ، ويستمدّ نوره من الشمس ، فينير الارض ليلاً . وقد دُعي بهذا الاسم ، لانه يقمر ضوء الكواكب ويفوز به ، اي يسلبه[2] .

و « قَمَر » ، بهذا المعنى ، صادر من الثنائي « قمْ » الدالّ على القطع

---

(١) منّا ص ٦٨٣ ي ي ؛ Brockelmann ص ٦٧٣ .

(٢) البستان ٢ — ٢٠٠٣

والاستئصال . وهذا هو عمل المقامِر ، اي انه ينزع أو يقطع مالَ من يسلبه . وهو ايضاً خاصيَّة القمر . اذ بظهوره ، ولاسيما ايام تمامه ، لا تُرَى الكواكب . فكأنّه يقطع أو ينزع أو يسلب ضوءها .

أما « قَمِر » ، بمعنى اشتدَّ بياضه ، واقمارّ : ابيضّ ، اي صار بلون القمر ، فلا يدلّان من أصل تركيبهما على الضياء . فقد اشتقّا ارتجالًا من اسم القمَر ولونه الابيض ، كما صدَر عنه ايضاً : قَمرَت الإبل : تأخَّر عشاؤها في القمر . وأقمَر الرجلُ : ارتقب القمر[1] .

ب الشهر

يراد بالشهر في العربية قسماً من أقسام السنة الاثني عشر . والسين والشين تتعاقبان في العربية ، كما تتعاوران بين العربية وغيرها من اللغات الساميَّة . فالشهر يعني ايضاً الهلال أو القمر اذا قارب الكمال . هناك لفظة (بالسين) ، وهي « سَاهُور » الدالّة على القمر أو على دائرته[2] .

أما في السريانية فيسمَّى القمر Sahrâ [3] . وفي الارميَّة الفلسطينية Zahrâ[4] بابدال السين زآء . ويقابل ذلك في العربية حرف « زَهر » : أضاء القمر والسراج والوجه . ومنه « الأزهَر » : القمر ، ومنه ايضاً « الزُهرَة » المطلقة على أشدّ السيَّارات ضياء[5] . و« زَهرَ » مشتق من الثنائي « زَهْ » في زَها[6] : زهر وأضاء . وفي السريانية Zhar[7] : زهر ،

(١) اللسان ٦ — ٤٢٥ يي ؛ التاج ٣ — ٥٠٤ ي .
(٢) البستان ١ — ١٢٧٢ .
(٣) منّا ، ص ٤٨٠ ؛ Payne-Smith ٢ — ٢٥٣٨ ي .
(4) Lexicon Syropalaestinum par F. schulthess, p. 54
(٥) البستان ١ — ١٠٢٠ .
(٦) اقرب الموارد ١ — ٤٧٩ .
(٧) منّا ، ص ١٩٠ ؛ Payne-Smith ١ — ١٠٨٨ يي .

أضآء . وفي العبريّة Zâhar : اضآء ، تلألأ[1] .

اذن « الشهر » مأخوذ من اسم القمر ، وهو Sahrâ في السريانيّة ، فنُقِل الى العربيّة ، بعد ان أُبدِلت سينه بشين . وأصل الكلمة من الضيآء . وهو ظاهر في فعل « زَهر » الصادر من « زها » .

يجوز اشتقاق اسم القمر والشهر من معنى الاستدارة ، لكون البَدر قرصاً تاماً ، ولكون الهلال نصف دائرة . وهذا بيِّن في العبرية Sahar الاستدارة[2] . وفي الاكّديّة Sîru : سور ، و Sûr : أحاط[3] . وفي العربية : « سار سوراً »[4] وفي السريانية Sûr و Sawrâ : عُنق[5] ؛ لالتوائه واستدارته . فيكون أصل القمر ، ومن ثم أصل الشهر ، من الاستدارة . لكن القول بالأصل الأول أرجح وأثبت .

ت التأريخ

دونك اوّلا ما ورد في تاج العروس ، في شأن هذه الكلمة : « أرخ الكتاب ، بالتخفيف ، وأرّخه ، بالتشديد ؛ وآرخه ، بمدّ الهمزة : وقّته ، أرخاً ، وتأريخاً ، ومؤآرخة . ومثله التوريخ . وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة . وقيل ان التأريخ الذي يؤرّخه الناس ليس بعربي محض ، لان المسلمين أخذوه من اهل الكتاب . قال شيخنا : وقد انكر جماعة استعماله مخفَّفاً . والصواب وروده واستعماله كما اورده ابن القطّاع وغيره . والخلاف في كونه عربياً ، أو غير عربي مشهور . وقيل هو مقلوب التأخير . وقال الصولي : تأريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي اليه . ومنه

(١) Brown ص ٢٦٣ ي ؛ Gesenius ١ — ٤٠٣ .
(٢) Elmaleh ع ١٥٨٩ .
(٣) Bezold ص ٢٠٨
(٤) اللسان ٦ — ٥١ ي .
(٥) منّا ، ص ٦٣٣ .

قيل : فلان تأريخ قومه ، اي اليه ينتهي شرفهم ورياستهم . وفي المصباح: أرّخت الكتابَ — بالتثقيل في الأشهر ؛ وبالتخفيف لغة حكاها ابن القطّاع — اذا جعلت له تأريخاً . وهو معرّب ؛ وقيل عربي ويقال : ورّخت على البدل والتوريخ قليل الاستعمال[1]».

زبدة هذا الكلام ان الثلاثي أرَخ — وورخ لغة فيه على الابدال —، ويقال في معنى الثلاثي : أرّخ وورّخ وآرَخ . وبين اللغويين خلاف في هل هو عربي أو معرّب . لكن لا يقال من اي لغة دخل العربية .

قلت : الكلمة ساميَّة ، لورودها — بمعزل عن العربية — في بقية ألسنة بني سام . وحرفها الأول — سوآء كان واواً أو ياءً أو همزة — قد زيد على الاصل الثنائي تنويجاً . والحاء والخاء تتبادلان في هذه اللغات . ونجد الجذر الثنائي في العربيَّة في حرف « رَحْ » ، ومنه « رَحرَح ورَحراح » الدال على الاتساع والانبساط والانفساح . فيقال « ترحرح الفرَسُ »: فجّ قوائمه[2] . وفي السريانية Rahrah : ترحرح الماء ، أسرع ، جال ، استنشق الرائحة[3] . ومنه الاجوف « راح » ، وفيه فكرة الامتداد بالريح ، اي الهواء المنتشر ، والروح أو النفس ، وفيه انبساط ؛ ثم في فكرة الذهاب ، وهو ايضاً نوع من الانبساط[4] . وفي السريانية نافي Rah و Rwah : فسح ، اتّسع ؛ و Rwîhâ : فسيح ، مبسوط[5] . وفي العبرية Râwah : اتّسع ، انبسط ؛ و Rêwah امتداد ، فسحة ؛ و Râwêh : فسيح واسع[6] . وفي الحبشية : Rôha : تنفَّس ، انشرح ، روّح المروحه ؛ و Rahaya ،

(١) التاج ٢ — ٢٥٠ .

(٢) البستان ١ — ٨٧٥ .

(٣) منّا ، ص ٣٧٤ .

(٤) اقرب الموارد ١ — ٤٤٣ .

(٥) منّا ، ص ٧٢٨ ؛ Payne-Smith ٢ — ٣٨٤٩ .

(٦) Brown ص ٩٢٦ ؛ Gesenius ٢ — ١٢٧٠ ي ي .

و Rahawa : راحَ، كان ذا رائحة، و Rahâ : ريح[1].

الى الأصل الثنائي «رَحْ» أضيف حرف واو، أو ياء، أو همزة، في مختلف هذه الألسنة. فجاء في السريانية Erah : رحل، انصرف، ضاف، نزل. و Arrah : نحى، أبعد، صرف ومنه الاسم Urah أو Urhâ : مسير، طريق، سفر، طريقة، مذهب، عادة. ومنه Bar-urha : ابن السبيل، مسافر[2]. وفي العبرية Arayah : مشى، سار، سافر و Oryah : طريق، سبيل مسلك، مصير، عادة، جهة، ميل[3]. وفي الاكدية Arhu و Warhu : طريق[4].

واذ كان من خاصيّات القمر الظاهرة التنقل من ناحية الى ناحية في السماء، سمّي بالسائر، أو الجائل، او المتنقِّـل. فجاء في العبرية : Yârêyah : القمر[5]، من Aryah : جال، طاف، هام[6]. وفي الاكدية Arhu و Warhu : القمر[7]. وفي الحبشية Warh : القمر[8]. واذ كان مسير القمر يتم في مدة شهر، أُطلق اسم القمر على هذه المدة، فورد بهذا المعنى، معنى الشهر، في الاكدية Arhu أو Warhu[9]، وفي العبرية Yêrah[10]. وفي الارمية Yarhâ[11]، وفي الحبشية Warh[12]، وفي السبئية Warh[13]،

(١) Dillmann ع ٣٠٦ .
(٢) منّا، ص ٣٩؛ Payne-Smith ١ – ٣٧٤ .
(٣) Brown ٧٢ ي؛ Gesenius ١ – ١٤٩ .
(٤) Bezold ص ٦٦ .
(٥) Brown ص ٤٣٧ .
(٦) Brown ص ٧٢
(٧) Bezold ص ٦٦ .
(٨) Dillmann ع ٨٩٨ ي .
(٩) Bezold ص ٦٦ .
(١٠) Brown ص ٤٣٧ .
(١١) فيه .
(١٢) Dillmann، ع ٨٩٩ .
(١٣) Brown ص ٤٣٧ .

وفي السريانية Yarḥâ : شهر ؛ و Yarḥûtâ مدة الشهر[1] . واذ كانت السنة مركبة من اثني عشر شهراً ، وكان الشهر القمري اظهر للعيان ، أخذ الناس ، منذ القديم ، يقسمون الزمان بالاشهر والسنة القمريّة ، قبل حسابهم بالسنة الشمسيّة ، فاطلقت الكلمة على تحديد الوقت . فورد في السريانية Yarḥâ بمعنى التأريخ ؛ والنسبة اليه Yarḥanâyâ : شهري ، تأريخي[2] . وفي الاكديّة أُطلق Arḥu او Warḥu عـلى معنى : عيّن او حدّد الوقت او التأريخ . وجاء في العربية : أرَخ ، أرَّخ ، آرخ ، والاسم منه : أرْخ ، تأريخ ، مؤآرخة . ويقال ايضاً بالواو : ورّخ ، والاسم : التوريخ .

زبدة القول : من الثنائي « رحْ » الدال على الامتداد والاتساع ، ثم عـلى الحركة والاسراع والذهاب والتنقل ، صدر الثلاثي Erêḥ في السريانية ، و Arayaḥ في العبريّة ، و Arḥu في الاكديّة ، للدلالة على المسير والسفر والطريق . ولما كان القمر يتحرّك فيتنقل في مسيره ، سمّي في العبريّة Yârêyaḥ ، وفي الاكديّة Warḥu ، وفي الحبشية Warḥ . واذ كان مسير القمر مدة شهر ، دُعي به الشهر ذاته . ولما كان الشهر مدة معلومة تتكرّر اثنتي عشرة مرةً في السنة ، شرع البشر ، منذ القديم ، في الحساب بالشهر والسنة القمريّة ؛ فاطلقت الكلمة على تحديد الوقت ، أي التأريخ . فلفظة « تأريخ » من حيث الأَصل الثنائي ، عربيّة النجار ؛ ومن حيث الصيغة الثلاثية ، ليست بعربية ، بل هي صادرة عن الاكديّة ، بطريق العبريّة او السريانية . فهي دخيلة في العربية .

---

(١) منّا ، ص ١١٦ .

(٢) منّا ، ص ١١٦ ي .

ز أصل كلمة «الشَعوَذة»

ورد في « المقتطف » ما يأتي : « شعوَذ ، تحذف منه الشين ، فيبقى لك اصله الثلاثي « عوذ » . ومن عوذ العوذة . والعوذه تعود الى الشعوذة[1] » .

قلت : لفعل « شَعوَذ » بدل في العربية وهو « شَعبَذ » وهذا ما جاء في صدده في تاج العروس : « قال الليث : هو خفّة في اليد ومخاريق ، وأخذ كالسحر ، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين . وفي كلام بعضهم هو تصوّر الباطل في صورة الحق ... قال الليث : الشعوذة والشعوذي مستعمل ، وليس من كلام اهل البادية ... المشعبذ : قال الليث : هو المشعوذ . وقد شعبذ يشعبذ . قال الثعالبي في الجنى المحبوب الملتقط من ثمار القلوب : لا أصل لقولهم : شعبذ ، انّما الأصل بالواو[2] » .

قلت : يفترض صاحب اللسان : ان مجرّد شعوَذ « شعذ » ، ويدّعي مقال « المقتطف » ان هذا الرباعي مشتق من « عوَذ والعوذة » . ويزعم الثعالبي ان الاصل ليس شعْبَذ بل شعوَذ . لنمحّص كل هذه الاقوال . هاك ما ورد في اللسان ، في شأن « عاذ والعوذة » : عاذ به : لاذ به ، ولجأ اليه ، واعتصم به . والمعاذ المصدر واسم المكان والزمان . وفي الحديث : عاذ بالله من النار . تقول العرب للشيء يكرهونه ، والأمر يهابونه : « حَجراً » اي دفعاً . وهو استعاذة من الأمر . وما تركت فلاناً الا عوذاً منه ، وعواذاً منه ، اي كراهةً او نفوراً وابتعاداً . العوذة والمعاذة والتعويذ : الرقية يُرقى بها الانسان من فزع او جنون لانه يعاذ بها . يقال : عوّذت فلاناً بالله واسمائه ، وبالمعوّذتين ، اذا قلت اعيذك بالله واسمائه من كل ذي شر ، وكل رآء وحاسد وحَين (موت) . والمعوّذتان

(١) المقتطف (مجلة مصرية) يونيو ١٩٤٠ ، ص ٧٩ يي .

(٢) التاج ٢ — ٥٦٦ ي ؛ اللسان ٥ — ٢٩ ؛ Lane ص ١٥٥٩ .

سورة الفلق وتاليتها . لان مبدأ كل واحدة : قل اعوذ . والتعاويذ التي تُكتَب وتعلّق على الانسان من العين تسمّى المعاذات ايضاً ؛ ويعوّذ بها مَن عُلقتْ عليه من العين والفزع والجنون وهي العُوذ، واحدتها عوذة[1]».

قلت : لا يظهر لحمة معنوية بين شعوَذ وبين عاذ وعوذة . لان الشعوذة ، حسب تحديدها ، عملٌ يؤثر به صاحبه على غيره للتمويه والخُدع ، وذلك بقوة الخفّة واللباقة . أما « عاذ » فدالّ على معنيين : معنى الابتعاد والهرب من شيء ، أو شخص مضر مخيف مكروه ؛ ومعنى الالتجاء الى أحد أو الى شيء او محلّ ، قصدَ التخلّص من شرّ الأول . لكن الدلالة الاصليّة المطلقة على « عاذ » هي الهرب من شيء خشية مضرّته ؛ ونتيجة ذلك هي الالتجاء الى احد أو شيء . والدليل على ان المراد « بعاذَ » الانقطاع والابتعاد أو الهرب ، هو ان اصله الثنائي يعني ذلك. يتحقّق الأمر في فعل « عذي » فيقال : عذِيت الارضُ : طابت . لكن لماذا طابت ؟ لأنها بعيدة عن الماء والوَخم[2] . فالفحوى الاصلي الانقطاع. كذلك تجد هذه المعناة في « عذب » . ودلالته : كفّ عنه وتركه ، وعذب فلاناً عن الطعام : منعه وكفه . والعذاب ما شق على الانسان ومنعه . والعذب : الطيّب المستساغ من الشراب والطعام ، لانه يمنع العطش ، اي يقطع[3] . كذلك « عذر » ختن ، أي قطع[4] . وعذق النخلة : قطع سعفها[5] .

هذا ولاحظَنّ الفرق الدقيق بين « عاذ به » و « لاذ به » . فان « عاذ » كما رأيت ، يدل أولاً واصلياً على الانقطاع والهرب ، ثم بالتالي على

(١) اللسان ٥ — ٣٣ ي ي .
(٢) التاج ١٠ — ٣٣٨ .
(٣) اللسان ٢ — ٧٢ ي ي .
(٤) اللسان ٦ — ٢١٩ ي ي .
(٥) التاج ٧ — ٥ ي .

الاعتصام فالاتصال . ولذا يقال : عاذ منه ، اي من الشر ، وعاذ به : لجأ اليه . أمّا « لاذ به » ، فلا يُطلَق في الأصل على الانقطاع ، بل على الالتجاء والاحتماء فقط . اذ ان الثنائي « لَذْ » الظاهر في « لَذَى به » معناه : سدك به ، اي لزمه ولم يفارقه ، لا بل أُولع به . والسَدِك المُولَع بالشيء والملازم له[1].

أما « العوذة » فقد سمِيَت بذلك ، لانه يُكتب فيها « أعوذ » ، اي انقطع وأهرب من الشيطان الرجيم ، أو غيره ممّا يضر . كما اطلق اسم « المعوّذتين » على سورة الفلق ، واوّلها « اعوذ برب الفلق » ؛ وعلى سورة الناس ، وأولها « أعوذ برب الناس » والمراد بكل ذلك التملّص والنجاة من الشر والمضرّة ، كشرّ العين والجنون والصرع وما اشبه . اذن لا يظهر علاقة بين شعوذ والعوذة، ولاسيما اذا قلنا، من باب الابدال ، « شعبَذ» .

على رأينا ان « شعوذ » ، أو « شعبذ » ، على الاصح ، خلافاً للوارد في اللسان ، ليست من صميم العربية ؛ كما يشهد بذلك اللسان عينه ، نقلًا عن الليث ، بكونها ليست من كلام أهل البادية ، اي العرب الخلّص ، وان كانت مستعملة بين الحضَر . ولا ريب ان هؤلاء ، والحالة هذه ، قد تلقّوها من الاجانب . وبالحقيقة الظاهر لنا ان أصلها سرياني . ودونك الكيفيّة.

في اللغات الساميّة حرف « عبد ». وأول معانيه المحسوسة معنى العمل، في السريانيّة[2]. وهو ثلاثي صادر عن الثنائي « عَبْ » العربي ، المتجلّي مدلوله في « عَبأ » : صنع ، جهّز ، هيّأ[3]. واذ كان العمل من مهمة العبيد ، جاءت الكلمة بدلالة الخدمة والعبوديّة ، في العربيّة . من ذلك العبادة ، وهي خدمة الله والعبوديّة له .

في السريانية ، لصوغ وزن « أفعَلَ » يضاف همزة ، كما في العربية ،

---

(١) التاج ١٠ — ٣٢٦ ؛ و٧ — ١٤١ .

(٢) منّا ، ص ٥٢١ ؛ Payne-Smith ٢ — ٢٧٦٥ ي ي.

(٣) اقرب الموارد ٢ — ٧٣٥ .

وهذا الحرف الزائد هو في العبريّة هآء . لكن في السريانيّة عينها يزاد ايضاً عوضاً عن الهمزة « شين » . من ذلك وزناً « أعبدَ وشعبد » . ومن مدلولاتها، فضلًا عن التعدية ، التأثير ، والحث ، والاجتذاب ، والسحر ، والصرع ؛ ثم التسلُّط بالعُنف ، اي بالقهر والمذلّة والاستعباد أو الاسترقاق[1] .

فالهمزة والشين في فعل « عبد » هما من الحروف الزائدة ، وتتعاوران. أما الأصل في السريانية فهو « شعبد » ؛ لان مجرّده « عبد » . لكن الباء ، حسب اللهجة السريانية الشرقيّة ، تُرَخَّم ، اي تُلفظ واواً . ولهذا دخلت في العربيَّة باللفظ الاصلي « شعبذ » ، وباللفظ المرَخَّم « شعوَذ » . وجاءت بالمعنى الوارد في المعاجم والمطابق للفحاوي السريانيّة . اذ في « الشعبذة » تأثير حسّي وأدبي على حواسّ الناظر ومخيلته وعقله ؛ وهو نوع من الاستيلاء والاسترقاق ، اي ضرب من السحر . اذن « شعبذ » هو الأصل وزناً ومعنى، ومجرّده الثلاثي ليس « عوَذ » بل « عبد » ؛ وهو سرياني وليس بعربي واما ثنائيه فهو « عَب » الظاهر في عبأ .

س — دَبَرَ

هذه اللفظة ذات معانٍ كثيرة ومختلفة في العربية ذاتها فضلًا عن تضاربها في اللغات الساميَّة الأُخَر بالنسبة بعضها الى بعض . بيـد ان الثنائية والألسنية ، في هذه الحالة كما في غيرها من الحالات ، وسيلة بيدنا فعَّالة للتوفيق بين المتضاربات ، والمآخاة بين المتناحرات .

العبرية :

Dâbar : قال ، تكلم ، حادث ، فكّر ، خمّن .

Hiddâbar : تكلّم ، حادث .

---

(١) منّا ، ص ٥٢٢ ؛ Payne — Smith ٢ — ٢٧٧٠ ي .

Dabbêr : تكلّم ، حادث ، لفظ ، قال .

Dâbâr : كلمة ، شأن ، أمر ، وعد ، حكمة ، خبر ، شيء ، حادث ، واقع ، عمل ، موضوع ، داعٍ ، فرق ، قضيّة ، نُطق ، حدّ .

Dêbêr : جرج ، وباء .

Dôbêr : مرج ، مرعى ، حيث يقاد القطيع .

Dibbêr : خطاب ، كلام ، عظة ، خطبة ، نبوّة .

Dibrâh : كلمة ، قضيّة ، طريقة ، شعار ، عمل ، شيء ، أمر .

Dâdôr : قائد ، دليل .

Deborâh : نحلة .

Dêbri : وبائي ، وبيل .

Dabrân : ثرثارة ، خطِل .

Dabrânût : فصاحة .

Debîr : الحجرة في المؤخّرة ، قدس الاقداس[1] .

السريانية :

Dbar : سار ، قاد ، أخذ ، دبّر ، اغتصب ، خطف ، سافر ، ندَب ، أقنع ، حرَث ، كرَب .

Etedbar : اطاع ، ارتضى .

Dabbar : اخذ ، ساق ، حرث ، دبّر ، قاد .

Dabbar 'am : تشاوروا ، اتفقوا .

Dâbôrâ : مدبّر العربة ، موت ، ملاك الموت .

Dbîrâ : مائل منعطف .

Dbîr 'gzârê : راعي القطعان .

(1) Brown ص ١٨٠ ي ي ؛ Gesenius ١ — ٣١٣ ي ي .

Mdabrânâ : مدبّر ، سائق ، رئيس ، قاضٍ ، راعٍ ، اسقف ، نوتي ، قبطان ، وصيّ ، كافل الملك ، الدَّبَران ، أحد منازل القمر .

Mdabrânûtâ : سيرة ، حالة ، صنع ، ولاية ، اهتمام .

Dûbârâ : سيرة ، حالة ، مذهب ، عادة ، سنّة .

Metdabrânâ : متزهّد ، ناسك ، صوفي :

Dbârâ : جيش ، عسكر ، سرب ، قطيع .

Dabrâ : بَرّ ، قفر ، صحراء .

Debôrâ : دَبْر ، زنبور .

Dbûrtâ : نحلة العسل .

Dbûrîtâ : نحلة[1] .

الحبشية :

Daber : مكان عالٍ ، جبل ، ناحية جبليّة ، حد ، نهاية .

Adbarât : ناحية ، قرية ، ضيعة ، دير ، صومعة ، ابرشية .

Dabarbîr : منحدر صغير ، شبه الظهر ، مرتفع .

Dâbêr, dâbîr : قدس الاقداس ، خورس ، هيكل[2] .

الأكّديّة :

Dabâru : دفَع ، نفَر .

Iddabar : (افتعل) ابتعد .

Udabbar : حمل ، خطف ، انتزع .

Dabru : قوي ، عنيف ، عجيب .

Dibiru : (دخيل) وبآء ، طاعون .

Madbaru : (دخيل) قفر ، بَرّ[3] .

---

(١) منّا ، ص ١٣٠ يي ؛ Payne — smith ؛ ٨١١ – ١ ي ي .

(٢) Dillmann ع ١١٠٢ ي . (٣) Bezold ص ١٠٠ و١٠٩ .

العربية :

دَبَرَ النهارُ : انصرم ؛ و– الرجلُ : شاخ ؛ و– الرجلُ دَبْراً : هلك؛ و– ولّى ؛ و– الريحُ : تحوّلت دبوراً ؛ ودَبِرَ البعيرُ : اصابته الدَبَرَة ؛ ودُبِرَ : اصابته الدَّبور . ودَبَرَ السهمُ الهدَفَ : جاوزه وسقط وراءه؛ و– فلاناً : تبعه من ورائه ؛ و– الشيءَ : ذهبَ به ؛ و– زيدٌ عمراً : جاءَ بعده وخلفه .

دَبّر الأمرَ : نظر في عاقبته ؛ و– رتّبه ونظّمه ؛ و– المولى عبدَه : قال له : انت حرّ عن دُبر منّي ، اي بعد موتي ؛ و– الحديث : رواه ونقله عن غيره ؛ و– على هلاكه : احتال عليه وسعى فيه .

أَدَبَر البعير : صار دَبِراً ؛ وأدبر الرجلُ : دخل في الدّبور ؛ وأدبر عنه : ولّى ؛ و– صار ذا مال كثير ؛ وأدبرت الصلاة : انقضت ؛ وأدبر فلاناً : جعله وراءه . دابر : مات ؛ و– فلاناً ، عاداه . تدبّر الأمرَ : نظر في أدباره ، اي عواقبه ، تفكّر فيه وتبصّر . تدابر القومُ : اختلفوا وتعادوا؛ و– الصديقان : تقاطعا .

استدبره : ضد استقبله ، اي جعله وراءه ، و– استأثره : اختصه ، جاعلاً غيره وراءه . الدّابِر : آخِر الشيء ؛ و– آخِر القِداح ؛ و– الأصل؛ و– المتأخر أو التابع ، باعتبار الزمان او المكان أو المرتبة ؛ و– سهم يخرج عن الهدَف ويسقط وراءه ؛ و– الذي يقمر مرةً بعد مرة ، فيعاود ويتابع ليقمر ؛ و– رَفرَفُ البناء .

الدَبَرَان : نجم بين الثريا والجوزاء ؛ يقال له التابع والتُوَيبِع . سُمّي دَبَراناً ، لانه يدبر الثريا ، اي يتبعها .

الدُبُر : نقيض القُبُل (قدام ووراء) و– الآخِر ؛ و– العَقِب ؛ و– الظهر .

الدّبر : الجبَل (حبشية)؛ و– الموت؛ و– الإِلتِثاب؛ و– المال الكثير.

دُبُر الصلاة : انقضاؤها ؛ ودُبُرُ الشهر : آخره .
الدَّبْرَة : نقيض الدولة ؛ و— الهزيمة في القتال ؛ و— العاقبة .
الدَّبَرَة : جراحة تحدث من الرحل ونحوه . الدَّبَرِيّ : رأي يسنح بعد فوات الحاجة .
الدَّابِرَة : آخر الرَّحل ؛ و— الهزيمة ؛ و— عرقوب الانسان .
الدَّبْر : جماعة النحل والزنابير ؛ والدَّبُور : الريح الغربيَّة ، تقابل الصبا .
الدَّبير : ما أدبرت به المرأة من غزلها حين تفتله ؛ و— ما ادبرتَ عن صدرك ؛ و— المعصية[1] .

تنسيق وتعليل

١ — التنافر والتضادّ بيّن ، لاول وهلة ؛ في مختلف معاني هذه اللفظة ، سوآء كان ذلك في كل واحدة من اللغات السامية بمفردها ؛ أو بالنسبة بعضها الى بعض .

فان معنى التكلم بعيد عن فحوى المحلّ العالي أو الجبل ؛ ومدلول النحلة والزنبور قصيّ عن القفر والصحرآء ؛ ودلالة الدير والقريـــة لا تتفق مع منطوق الدَبَران أو قدس الاقداس ؛ كما ان مفهوم الدفع والخطف نآءٍ عن الطاعون والوبآء ؛ وكذلك لا لحمة بين معناة المرج والمرعى وبين الثرثارة ، أو الدليل والقائد . لكن كل هذا التنافر والتناحر الظاهري يزول ، فيقوم مقامه التقارب والتلاءم والتآخي ، بفضل الثنائيَّة والالسُنيَّة .

٢ — ولذا نعمد الى الثنائي في هذه الكلمة ، وهو « دَبْ » ، وهذه معانيه المختلفة في الأَلسنة الساميَّة .

العربية :

دبّ : مشى عــلى هينته ، كمشي الطفل والنملة والضعيف . ومنه

(١) التاج ٣ — ١٩٧ يي ؛ اللسان ٥ — ٢٣٥ يي ؛ Lane ص ٨٤٤ يي .

الدَّبيب : المشي الرُوَيد ، أو السحف انسلالًا • و– الشرابُ والسقمُ في الجسم ، و– البِلى في الثوب : سَرى ؛ و– الجدول : جرى . أدبّ الصبيَّ : جعله يدبّ ، و– الى ارضه قناةً : أجراها . والدابّة : ما دبّ من الحيوان . والدُبُّ : سبع ضخم الجثّة يمشي بطيئاً لثقله[1] .

العبرية :

Dâbab : سال ، جرى ، إنساب ، زلق ، أزَلّ ، زلج ، تحرّك ، لثغ ، همس ، همهم ، دمدم ، ثرثر ، كلّم .

Dêbêb : كلمة ، كلام ، نطق ، خطبة .

Dibbab : نميمة ، افتراء ، هتك الصيت .

Dibûb : تحريك الشفتين ، صلاة .

Dibôb : عداوة ، حقد .

Dabûb : عدو ، حقود .

Dôb : دُبّ .

Dûb : ذاب ، ضني ، نحل ، سقم[2] .

السريانيـة :

Dab : دَبّ ، زحف ، ضعف ، وهن .

Debbâ : دُبّ .

Dbâbâ : عداوة .

Bcêl dbâbâ : عدو ، خصم .

Dôb : ذاب ، ماع ، رشح ، قطر ، ضعف ، هلك[3] .

---

(١) اللسان ١ – ٣٥٦ يي ؛ التاج ١ – ٢٤٣ ي ؛ Lane ص ٨٤١ ي .

(٢) Brown ص ١٧٩ ؛ Elmaleh ع ١٦١ و ٢٧٠ .

(٣) منّا ؛ ص ١٣٢ و ١٣٩ ي ؛ Payne-Smith ١ – ٨٠١ و ٨٣٠ ي .

الأكّديّة :

Dabâbu : افتكر، قصد، قال، تكلم، تشكّى، نمّ، افترى، فضح .

Dabâbu : قول، كلام، تشكٍ، نصّ رقيم .

Dibbu, dubbu : كلمة، موضوع الكلام، قضيّة، أمر، شيء .

Dabîbû : مفترٍ .

Dabûbu : قضيّة، موضوع جدال .

Dababtu : كلام، قياس، ثرثرة .

Dubbubtu : تشكٍ، موضوع التشكي .

Dabû : دُب[1] .

الحبشية :

Dababa : دبّ، سحف، إنساب، سما، ارتفع فوق، كان فوق الشيء، أو عليه .

Dabawa : مشى على هينته، زحف .

Dabaya : زحف، فاجأ، غزا، هاجم[2] .

٣ — ان المعنى الاولي في هذه المادة الثنائيّة « دَبْ » هو معنى الحركة من باب الاطلاق، الظاهر في الفعل العبري Dâbab : تحرّك . ومنه Debûb : حركة الشفتين .

من الحركة عموماً جآء معنى الحركة خصوصاً، وهي المشي البطيء لسبب ثِقل أو ضعف وذلك في العبرية، والسريانية، والحبشية . والعربية، كما رأيت اعلاه في جملة معاني الافعال Dâbab، و Dab، و Dababa، ودَبَّ . ومن فكرة الزحف نجم معنى المفاجأة، والهجوم، والغزو، في الفعل الحبشي Dabaya .

(١) Bezold ١٠٤ ي .

(٢) Dillmann ع ١١٠٣ ي .

٥ — ومن فحوى السير البطيء صدر مدلول السيلان والجري والانسياب والزلج . ومن ذلك ايضاً الذوبان والرشح . ومنه الضعف والضني والسقم والبلى . كما في السريانية والعبرية والعربية .

٦ — من الحركة ، ولاسيما حركة الشفتين ، نجم معنى اللثغ ، والهمس ، والهمهمة ، والدمدمة . ثم دلالة القول ، والتكلم . ومن الكلام العام جاء الكلام الخاص ، من باب المجاز ، وهو : التشكّي ، والنميمة ، والافتراء ، والفضح . ومن هذا الكلام الخارجي تولّد معنى النطق الداخلي ، وهو الافتكار والقصد ، ثم الافتكار السيّ وهو الحقد والعداوة . وباسم الكلمة أو القول سُمّي موضوعه ، اي الشيء أو الأمر ، أو القضيّة ، أو القياس ، أو النصّ ، أو موضوع التشكي والجدال ، أو الافراط في الكلام اي الثرثرة .

٧ — من فكرة المشي أو الدّب على الارض ، جاءت فكرة العلو والارتفاع ، لان الذي يسير أو يدبّ على شيء هو أعلى منه . من هذا القبيل ورد فعل Dababa في الحبشية بمعنى سما ، ارتفع ، كان فوق الشيء أو عليه .

٨ — وهذه فكرة الارتفاع توّسعت في الحبشية بزيادة الرآء تذييلاً في مادة Dababa . فورد فيها Daber بمعنى المكان العالي ، والجبل ، والناحية الجبليّة . وبما ان الجبال تنشيء حدوداً طبيعية بين البلاد ، اتصف Daber بدلالة الحدّ والنهاية . ومن الاماكن المنفصلة عن غيرها بحدّ هي النواحي ، والقرى ، والاديرة ، والابرشيّات . وفي الجبال روابٍ ومنحدرات . ومن ذلك في الحبشية ايضاً Dabarbîr .

٩ — ان الثنائي « دَبْ » توَسّع ايضاً في اللغات السامية الأُخر بزيادة الرآء في آخره ، فاصبح « دَبَرَ » . فمن معنى الحركة وحركة الشفتين ، جاء في العبرية Dâbar بمعنى النطق الخارجي في : نطق ، تكلّم ، حادَث ، وبمعناه

النطق الداخلي في: فكّر، خمّن . وقِس عـلى ذلك المزيد والاسم منه ، وموضوع الكلام وانواعه ، كما تحققت اعلاه في جدول المعاني من هذا القبيل .

١٠ — من فكرة السير المتضمّنة في الثنائي «دَبْ» جاء «دَبَرَ» بمعنى سار ، سيَّر ، قاد ، أخذ ، خطف ، نزع . وكذلك حرث ، كرَب . وهو تسيير أو سوق الفدّان ، ومنه ايضاً ورد «دَبَرَ» : تبع ، مشى وراء أحدٍ أو خلف ظهره . كما يبين ذلك في السريانية في فعل Dbar ؛ وفي العربية في «دَبَر» ؛ وفي الاكّديّة في Dabaru : دفع ، نفر ؛ و Iddabar ابتعد ؛ و Udabbar حمـل ، خطف ، انتزع . وفي الخطف شدة . ومنه Dabru : قويّ ، عنيف ، عجيب .

١١ — من السير وراء واحدٍ أو شيء ، تولّدت فكرة المؤخر أو الظهر . ومن ذلك الافعال الارتجالية ، والأسماء والصفات الصادرة عنها . في العربية : دَبَر النهارُ : انصرم ؛ اي ولّى دُبْرَه أو ظهره ؛ وشاخ وهلك : اي ذهب وزال بقلبه ظهره للذين يتركهم . ومنه دبّر الامرَ : نظر في عواقبه اي اواخره . وأدبَر : دخل في الدّبور ، اي الريح الآتية من وراء الواقف في القبلة . وأدبَر : صار ذا مال كثير ، اي جعل وراءه من المال وافره . وتدابروا : اختلفوا وتعادوا وتقاطعوا ، اي ان كلًّا منهم قلب ظهره لغيره . الدّابِر : آخِر الشيء ، وكل ما هو بهذا المعنى . الدَّبَرَان : النجم التابع الثريا . الدَّبْر : جماعة النحل والزنابير ؛ لان سلاحها في دُبرها أي مؤخرها . مثله Dabôrâ و Dbûrtâ في السريانية ، و Debôrâ في العبريّة ، اي نحلة .

١٢ — في السريانية Dâbôrâ : مدبّر العربة ، لانه يقودها ؛ وملاك الموت ، لانه يتبع الانسان فيدفعه من ورائه . و Mdabrânâ : مدبّر ، سائق ، اسقف ، وصيّ . وكذلك Dbârâ : جيش ، عسكر ، سرب ، قطيع . وفي كلّها معنى القيادة ، اي الدفع من الدُبر اي الوراء . وفي

العبرية Dabôr : قائد ، دليل ، وفي السريانيّة Dôbêr : مرج ؛ وفي العبرية Dôbêr ، وفي الاكدية Madbâru (دخيل) ، وفي السريانية Dabrâ . وكلها تدل على القفر أو البَر . اي حيث تقاد القطعان .

١٣ — من الظهر أرتجل معنى المرض الذي يصيبه . من ذلك في العربية : دُبِر البعيرُ : اصابته الدَبرة . وهي جرحة تحدث من الرحل أو نحوه . وفي العبريّة Dèbêr : جُرحٌ . ثم توسّع الى معنى الوبآء . ومنه Debri : وبائيّ ، وقد دخل في الاكديّة بصيغة Dibiru : وبآء ، طاعون .

١٤ — الدَّبير : ما أدبرَت به المرأة من غزلها حين تفتله ، اي ما جعلته الى ورائها . وفي العبريّة Debûr : الحجرة الواقعة في الدُبر ، اي في المؤخرة ، وهي قدس الاقداس في هيكل اورشليم ، وقد ولجت الحبشية بلفظة Dâbîr أو Dàbêr : قدس الاقداس ، الخورس ، الهيكل .

دونك الآن ، خلاصةً لما بسطناه ، السبيل المنطقي الذي سارت فيه هذه الكلمة متوسعةً ، متطوّرة مبنىً ومعنى ، من الأصل الثنائي الى الثلاثي ومزيداته .

١ً : الحركة عموماً ؛ ٢ً : المشي الرويد ؛ ٣ً : الجريان ، والانسياب ، والضعف والهزال ؛ ٤ً : الزحف على الارض او غيرها ؛ ومنه المفاجأة والغزو والهجوم ؛ ٥ً : من الزحف على الارض ، جاءت فكرة الارتفاع . ثم المكان العالي ، والجبل ، والحدّ ، والناحية ؛ ٦ً : من الحركة عموماً ، الحركة خصوصاً للشفتين . من ذلك اللثغ ، والهمس ، والكلام ، والتشكي ، والنميمة ، والعداوة ، والحقد ؛ ٧ً : من الكلام الخارجي ، الدلالة على النطق الداخلي ، اي الفكر والتأمل والقصد . ثم موضوع الكلام ؛ ٨ً : من دبّ الدال على الحركة ، ثم على حركة الشفة ، اشتقّ «دَبر» وفيه الكلام والحديث ؛ ٩ً : من الحركة عموماً جاءت الحركة الخاصة بالدفع والقيادة ، اي السير والدفع من الورآء ؛ ١٠ً : من المجاز جآء «دبّر»

بمعنى النظر في العواقب - ومنه ارتجل الاسمآء والافعال والصفات الدالّة على آخر الشيء، أو النسبة الى آخره .

وهكذا بعد التقصيات العديدة، نرى المعاني المتنافرة والمتناحرة ظاهرياً، متآخية متلائمة منطقيّة واقعياً . كل ذلك بفضل الثنائية والالسنيّة.

ش - «برك، ركب، كرب، كَرُوب»

برك

العربية :

برك البعير : استناخ، اي لوى ركبتيه وألقى صدره على الارض، و- : ثبت واقام؛ والسمآء : دام مطرها . بَرّك البعيرُ : استناخ؛ و- عليه : قال له بارك الله عليك . أبرك البعير : اناخه . باركك اللهُ : وضع فيك البركة . وبارك : واظب على الشيء . تبارك الله : تقدّس وتنزّه؛ وتبارك فلانٌ : فاز بالبركة، اي بالخير والسعد . تبرّك به : تيمّن وظفر بالبركة . ابترك القوم : جثوا للركب فاقتتلوا . وابترك فلاناً : صرعه . استبرك البعير : استناخ؛ و- الرجلُ : تفاءل بالبركة. البركة : النمآء والزيادة والسعادة . البَرْك : جماعة الإبل الباركة؛ و- صدر البعير؛ البِركة : نوع البدوك، و- مستنقع المآء؛ و- الحوض يُحفر في الارض [1].

ركب

ركبه امتطاه؛ و- تبعه وتقصّى أثره؛ و- ضرب ركبته؛ و- الذنبَ : اقترفه؛ و- عظمت ركبته . ركّبه : وضع بعضه على بعض.

(١) اللسان ١٢- ٢٧٥ يي؛ التاج ٧ - ٦٠٥ يي.

أَركِب المهر : حان له ان يُركَب . الراكب خلاف الماشي . الرِكاب : الإبل . الرُكبة : موهل ما بين اسافل اطراف الفخذ واعالي الساق . المركوب : ما يُمتطى من الخيل[1] .

كرَب

كرَب الارض للزرع : آثارها وقلبها ؛ وكرَب الحبلَ : فتله ؛ و— القيدَ على المقيَّد : ضيّقه ؛ و— الناقة : أوقرها ؛ و— الأمرُ فلاناً : شقّ عليه فاشتدّ غمّه ؛ و— الدلوَ : جعل عليها الكرَب . كرِب : اصابه الكرب ؛ و— الشيء : دنا . تكرّب : تقرّب . كارَب . قارب . اكترب : اغتمّ . الكرَب : أصول السعف الغلاظ العراض ؛ و— الحبل يشدّ في وسط العراقي . الكُربة : الحزن . الكروب والكروبيم : المقرّبون من الملائكة[2] .

السريانية : Brak

Bark : برك ، سقط ، برّك ، بارك .

Barrèk : برّك ، بارك ، سبّح ، كلّل .

Etebrèk : نما ، تبارك .

Abrêk : أبرك ، أوقع .

Burkâ : رُكبة .

Bûrektâ : بَرَكة ، غزارة ، هديّة ، شكر[3] .

---

(١) اللسان ١ — ٤١٢ يي ؛ التاج ١ — ٢٧٦ يي .
(٢) اللسان ١ — ٣٠٦ يي ؛ التاج ١ — ٤٥٢ يي .
(٣) منّا ، ص ٧١ ي .

Rkèb

Rkèb : ركب ، علا ، امتطى .
Rakkèb : ركّب ، كوّن ، ألف ، نظّم .
Arkéb : سلّط ، قفز .
Rkâbâ : مربط ، ركب .
Rkabtâ : ركبة .
Rkûbâ : ركوبة ، عجلة ، سرج .
Rûkâbâ : انشاء ، نظم ، شعر[1] .

Krab

Krab : كرَب ، برَم ، اكترب ، تمعّن .
Kârôbâ : كراب ، فلاح .
Krâbâ : ارض مفلوحة .
Kârôbâ : كروب ، كروبيم[2] .

العبرية :

Bârak

Bârak : برَك ، انحنى ، بارك ، صلّى ، دعا ، سبّح ، سلّم .
Bèrèk : رُكبة .
Berâkah : بركة ، تسبحة ، نمو ، سعاده ، هديّة .
Berèkah : بِركة ، حوض .
Bârûk : مبارك[3] .

(١) ك . م . ص ٧٣٨ .
(٢) ك . م . ص ٣٥ .
(٣) Brown ص ١٣٨ ي .

Râkab

Râkab : ركب ، علا ، امتطى .
Rèkèb : مركبة ، حجر الرحى .
Rakkôb : سائق عربة ، فارس .
Merkôb : مركبة ، ركاب .
Rekûbah : رُكبة[1] .

Kârab (واردة خارج الكتاب المقدس)

Kârab : كرب ، حرث .
Kerôb : حقل مفلوح .
Karûb / **Karûbîm** : كروب ، كروبيم (واردة في الكتاب المقدس[2]) .

الاكّدية :

Barâku (لا وجود له في هذه اللغة)

Birku و **Burku** : رُكبة (لا غير)[3] .

Rakâbu

Rakâbu : ركب ، علا ، امتطى الخيل ، سافر ، ركب مركباً
Rakbu : راكب عربة أو فرساً .
Rakkabu : سرج ، بردعة .
Narkabu : مركب .
Narkabtu : مركبة ، عربة[4] .

(١) ك . م . ص ٩٣٧ ي .
(٢) Elmaleh ع ٧٣٢ ي .
(٣) Bezold ص ١٦٨ .
(٤) ك . م . ص ٢٥٥ .

Karâbu

Karâbu : طلب ، صلّى ، بارك ، احترم ، خلف ، وعد ، منح ، سبّح .
Kâribu : مصلّ ، داعٍ ، ساجد ، متعبّد ، مبارك .
Ikribu / Karâbu : صلاه ، دعاء ، بركة .
Kurbânu : قربان ، تقدمة[1] .

الحبشية :

Baraka

Baraka : برك ، ركع ، خرّ جاثياً على ركبتيه ، ركع للعبادة ، بارك ، دعا بالخير واليمن ، سبّح ، رنّم ، قدّس بالبركة ، بارك الربُّ عبدَه ، اسعده ، وفّقه ، سلّم على فلان ، تمنّى له السلامة ، ودّعه .
Abrak : أبرك ، أناخ .
Tabâraka : تبارك ، تمجّد . بارك الواحد الآخر ، طلب البركة او قبلها ، تقدّس بالبركة ، توفّق ، كان سعيداً .
Astabraka : خرّ جاثياً .
Berk : ركبة .
Bûrûk : مبارك ، ممجّد ، معبود ؛ طوبى .
Bûrâkė : بركة ، نشيد ، دعاء[2] .

Rakaba

Rakaba : وضع شيئاً على شيء ، جلس ، طبّق ، ركب الفرس ، اقتنى ، أخذ ، وجد ، ادرك ، اعتبر .
Arkaba : أملك .

---

(١) ك . م . ص ١٢٨ .
(٢) Dillmann ع ٥٠٠ ي .

Tarâkaba : تلاقوا ، اجتمعوا .

Astarakaba : جعلهم يتلاقون ويجتمعون .

Rakbat : وجدان ، اقتناء .

Rakub : موجود ، مقتنى .

Rakèb : مجمع ، مجتمع .

Arkûbat
Rakûbat } ركائب ، نوق ، جمال .

Markab : مركب ، سفينة .

Merkab : مقتنى ، موجود ، ثمن ، أجرة[1] .

Karaba

Karaba : (غير مستعمل) يقابله : حرم .

Mekrab : محراب ، هيكل وثني ، كنيس اليهود .

Daraba : (غير مستعمل) : قتل ، كرب (يقابله Kâbal العبري) : كبل ، ربط ، قيّد[2] .

***

تنسيق وتعليل

لا حاجة الى انعام النظر للوقوف على ما يظهر لاول وهلة ، من التضارب والتنافر بين هذه الالفاظ في اللغات السامية عموماً ، وفي كل منها خصوصاً .

١ — ان كلمة « برك » تدل اولًا على استناخة البعير . ثم على البركة والتقديس والتسبيح . وذلك في العربية والسريانية والعبرية والحبشية ، أما الاكّدية فليس فيها من مادة « برك » الا كلمة Birku ، بمعنى الركبة .

(١) ك . م . ع ٣٠٢ يي .
(٢) ك . م . ع ٨٣٦ ي .

٢ — في العربية والعبرية والسريانية والحبشية المعنى الثاني لكلمة « برك » كما لمزيديه « برّك وبارك » هو التسبيح والتمجيد ، أو تمني السعد والغبطة ، في حين ان هذه الدلالة وفروعها غير واردة في الاكديّة الّا في فعل Karâbu : صلّى ، بارك ، عبد ، وقّر . ثم ان هذا الفعل « كرَب » لا يراد به في بقيّة اللغات السامية الّا الحرث والبَرم ، ثم الاكتراب أو الاغتمام . فكيف التوفيق بين هذه المتنافرات البعيدة عن المنطق ؟ الجواب : هذا التوفيق يتم بوسيلتنا المألوفة ، وسيلة الثنائية والالسنيّة .

٣ — لتأصيل الالفاظ ، هناك قاعدة لازمة الإتباع ، وهي الانتقال من الفحاوي المادية المحسوسة الى المدلولات المجرّدة والمجازية ، ومن حياة البداوة الى حياة الحضارة ، ومن مزاولة الرعاية والزراعة الى معالجة الصناعات والفنون والعلوم . ومن هذا القبيل نجد في العربية آلةً من انفع الآلات تبزّ سائر اخواتها السامية ، ان لم نقل اللغات البشرية . نحن العائشين اليوم في عصر التمدُّن والرقي على اختلاف ضروبه ، نكره البادية ماقتين حياتها البدائيّة ؛ ونودّ امكان تطهير معاجمنا من كل الكلم التي يشتم منها رائحة الحياة البدوية ، حتى لا يبقى فيها سوى التعابير الحضرية ، لا بل العصرية الحديثة ، وما نستحدثه منها اندفاعاً مع تيار الرقي المتواصل .

هذا من حيث الروح والذوق العصري . أمّا نحن ، معشر المتخصّصين للمعجمية وما ينوط بها من اشتقاق وتأصيل وثنائية وألسنيّة ، فلا نتمالك من الاشادة بفضل اولئك اللغويين الأقدمين الذين قاموا بالرحلات العلمية ، قاضين السنين الطوال بين ظهراني أهل الوبر ، فجمعوا لنا كل تلك المفردات البدوية الخالية منها الالسن السامية الأخر ، التي لم تجمع الّا إبّان بلوغ اربابها عصر الحضارة . ففُقِد منها اغلب الأصول الأوّلية بمعانيها المادية المحسوسة . وفي هذا هو الفضل العميم ، فضل اللغة العربية على شقيقاتها ، والدليل الساطع على قدم الفاظها ، مع انها دُوِّنت بالكتابة آخِر جميعها .

ونتحقق في هذا البحث ، كما في ابحاثنا السابقة الكثيرة ، هذه الحقيقة الجليّة وهي ان في العربية المفتاح النفيس لفك مغاليق كثيرة من ألغاز المعجميات الساميّة ، وذلك بالرجوع الى الأصل الثنائي الصائن عادةً اقدم المدلولات ، اي الفحاوي البدائية الفطرية المحسوسة الملموسة .

٤ — فاذا تقرّر هذا نقول : ان المادة الثنائية ، أصل مختلف هذه المفردات المبحوثة في هذا المقال ، هي « رَكْ »[١] الذي يقابله الثنائي الآخر « رَقْ »[٢] . وفي كليهما فكرة اصلية ، هي فكرة الرخاوة واللين والنحافة؛ ومن ذلك الضعف والخضوع والانحناء والالتواء ؛ ثم الخفة والقِلّة ، مادةً وكميّةً وقدراً . على ان بجانب هذا المدلول ، ومن مفاعيل القلة والخفة، جاء في كلٍ من هذين الثنائيين ، حسب المبدأ الفيزيائي ، دلالة الارتفاع والارتقاء . لكون الصعود من طبع كل خفيف ، والهبوط من خاصة كل ثقيل .

٥ — من مادة « رَكْ » الثنائي صدر الثلاثي « رَكَع » . والركوع الخضوع وطأطأة الهامة . والراكع المنحني . وكل شيء ينكبّ لوجهه فتمسّ ركبته الارض أولا تمسّها ، بعد ان ينخفض رأسه ، فهو راكع . والانخفاض ، أو الإنحناء ، أو الانكباب آتٍ من اللين والرخاوة[٣] . وفي « ركع » جرت الزيادة تذييلًا بحرف العين . وفي « بَرَك » حدثت تتويجاً بإضافة الباء الى « رَكْ » الثنائي . وقد تجلى أول معاني « برك » الماديّة المحسوسة في الحياة البدويّة، اي حياة رعاية الماشية، ومنها الجمال . والجَمل مَركب البَر ، والحيوان العربي الخاص . والحال ان من أظهر اعمال البعير؛ لا بل من الافعال المتفرّد بها ، دون غيره ، الاستناخة : وقد اطلق عليه

(١) البستان ١ — ٤٣٩ .
(٢) ك . م . ١٠ — ٨٣٩ .
(٣) اللسان ٩ — ٣٩٤ ي .

كلمة خاصة به ، وهي « بَرَكَ » . واذ كان فعل البروك أو الاستناخة يتمّ بثني الركبتين ، اي بارخائهما لينهما ، والجثم على الصدر الملتصق بالارض ، اشتُقّت الالفاظ الدالّة على العضو الملتوي عند الجثو على الحضيض من مادة « بَرَكَ » الدّال ثنائيّة على الرخاوة فالانطوآء . فقالوا في الاكديّة Birku ، وفي العبريّة Bèrèk ، وفي السريانية Burka ، وفي الحبشية Bark . أما العربية ، فقد جرى فيها القلب ، منذ اقدم الازمان ، فصدر عنه « ركبة » بدل « بركة » ، وان بقي الأصل في كلمة « بِرْكَة » ، وهي كيفيّة البروك . من ذلك جاءت المشتقات في الالسنَة الساميَّة . في العربية : برّكَ وأبرَكَ : اناخه . ابترك القوم : جثوا للرُكَب فاقتتلوا . استبرك البعير : استناخ ، البَرك : جماعة الإبل الباركة . البِركة : الحوض لسبب بروك الجمال حوله للشرب . ومن بروك الجمل المستطيل ، دلّ فعل « برك » على الاقامة والثبوت ، وعلى مواصلة المطر . وفي السريانية Brak : برَكَ ، جثا ، سقط . و Abrek : اناخ . وفي العبريّة Bârak : برك ، انحنى . و Bèrekah ، بِركة ، حوض . وفي الحبشيّة Baraka ركع ، برك . و Abraka : اناخ أبرك . و Astabraka : خرّ راكعاً .

٦ — على ان الأصل الثنائي « رَكْ » والثلاثي « بَرَكَ » الناجم عنه ، والدال على الالتوآء والجثوم — وهو من المعاني العريقة في القدم ، عصر كان الساميّون جميعهم رعاة إبل في الصحارى — قد تطوّر فانتقل الى الفحاوي المجرّدة المجازيَّة ، فاطلق على الانحناء والسجود ماديّاً وادبياً ، اي على الخضوع أمام سيّد ، أو سلطان ، ولاسيَّما أمام سيّد السادات ورب الارباب ، الآله المتعالي . فورد Baraka في الحبشية بمعنى « خرّ العبد جاثياً على ركبتيه » و Bâraka : جثا وسجد للعبادة ، سبَّح ، رنَّم ، دعا ، بارك ، قدَّس . وفي العبرية Bârak : صلَّى ، دعا ، سبّح . وفي السريانية Brak و Barrèk : برّكَ وبارك . وفي العربية : برّكَ وبارك . وفي هذه المفردة ، كما في كلمة

صلاة[1]، تشمل الدلالة الاوليَّة العملَ المحسوس في العبادة، اي الانحناء والخضوع والسجود المتضمِّن في «بَرَكَ». ثم لمرافقة هذا العمل اقوال، نشأ عن ذلك التسبيح والتمجيد والتبريك، اي الطلب أو التمنّي لكي يتقدّس اسم الله فيُكرَم فيُعبَد. وكما يكون التبريك من قبل الانسان الى الله، كذلك تنزل البركة من الباريء على ابن آدم، اذ يمنحه المنَّان الخيرات الماديّة والروحية، والسعادة الزمنيَّة والابدية. فنجم عن هذا بقيَّة المفاهيم المنوطة بالبركة.

وكلمة البركة عينها ترد من باب التعاكس، بمعنى اللعنة في العبرية[2] كما الأمر جارٍ في اللغة العاميَّة، في بعض البلاد العربية، في لفظة «رحم»، فيقول بعضهم «رحمتُ» مريداً «لعنتُ» اجتناباً منه كلمة «اللعنة» السيئة الوقع على السمع.

٧ — اما الاكديَّة، فرأينا ان لا لفظ فيها من مادة «برك»، الّا مفردة Birku : ركبة. بيد ان الواقع، على رأينا، ليس كما يظهر لاول وهلة. فان مادّة «برك» موجودة فيها بقسم من معانيها. لكن قد جري فيها القلب منذ اعرق الازمان قدماً، فاضحت karâbu. وقد زالت منها الفحاوي الاولية، فحاوي الحياة البدوية الداخلة فيها رعاية الغنم والبقر والجمال. لان اللغة الاكديّة، عصر دُوّنت، وكما وصلت الينا في الكتابة المسمارية، لم تعُد لسان بادية، لكن لسان حضارة وتمدُّن. ولذا لا نُلفي فيها، كما الحال في العربية، مناطيق «بَرَكَ» العائدة الى البعير. فاستمرّت فيها المدلولات المجازيّة الصادرة من بَرَكَ»، كما وقفنا على ذلك في اللغات الساميّة الأُخر. فجاء فيها Karâbu : طلب، صلّى، أكرم، تعبَّد، مدح، سبَّح، بارك، وزع، منح. ومن Karâbu اشتُق Kâribu : ساجد، داع، متعبِّد، مبارك. Karâbu و Ikribu : صلاة،

---

(١) المعجمية العربية، لمرمرجي، ص ١١٨ ي.

(٢) Brown ص ٩٣١.

بركة . و Kurbânu : قربان ، تقدمة .

٨ — أما المدلولات الأُخر لمادة « كرب » غير الموجودة في فعل Karâbu الاكدي ، فسبب لاوجودها هو ان Karâbu مقلوب عن Barâku ، أو بَرِكَ . ومادة « كرب » ليست اصلية فيه . اما أصل مداليلها ، في بقيّة الألسن الساميّة الأخوات ، ما عدا الاكديّة ، فمصدره من الثنائي « كرْ »[1] المراد بـه الاعادة ، والظاهر أحد فحاويه في الفعلين العربيين « كَرَى النهر » : حفره ، و « وكار الارض » : حفرها . والحفر يتطلّب تكرار العمل . وفي العبرية Kârâ : حفر ، و Kâr : خرق[2]. ومن « كرْ » اشتق « كرب » المعني به ، في العربية والحبشية والسريانية ، أولاً : الحرث ، اي إثارة الارض وقلبها . وفي ذلك معناة القطع والقص . ومنه في العربية « الكَرَب » : أصول السعف الغلاظ العراض التي تُقطع معه . ثانياً في اللغات الثلاث المذكورة ، يأتي بمعنى : فتل ، برم ، وهذا ما يدلّ عليه « كرْ » اي الاعادة ، اذ لا يتم الفتل أو البَرم الّا بتكرار عمله بشدّة . ثالثاً : جاء « كرب » في العربية بمدلول : قيّد وضيّق . وهو نتيجة الشدّة . وورد مجازاً بمفهوم : اكترب ، اغتم ، حزن ، شق عليه الأمر . أمـا « كرب الدلو » : جعل عليه الكَرَب ، فهو مدلول ارتجالي مأخوذ من الكرب ، اي الحبل المفتول والمبروم . وكرب ، وتكرّب ، وكارب ، بمعنى أوشك ودنا ، هي عين : قرب وتقرّب ، وقارب ، بابدال القاف من الكاف .

٩ — فلنتخطّ الآن الى كلمة « ركَب ». قلنا في العدد الرابع اعلاه ، ان « ركْ » الثنائي يدل اولاً على الانحناء ، والركوع ، واللين ، والرخاوة . وثانياً على القلة والخفة ، ومن ثم على الارتفاع وركوب الشيء على غيره .

---

(١) البستان ٢ — ٢٠٦٩ .

(٢) المعجمية العربية ، لمرمرجي ، ص ١٨٣ ي .

لذلك صدر منه « ركب » — وبمعناه « رقب » المشتق من رقّ ورقي — فمن ثمّ ورد في عامة اللغات السامية كلمة « ركب » بمدلول الامتطاء وجلوس الشيء على الشيء، وضعاً ومجازاً. مما يهون معه ادراك ما بين هذه الفحاوي من اللحمة والانسجام. فلا نطيل فيه الكلام، مجتزئين بتوضيح ما ليس بجليّ لأوّل وهلة.

١٠ — لا يظهر ان « رُكبة » العربية، و Rkabtâ السريانية، و Rekûbah العبريّة صادرات من مادة « ركب ». ولذا نظنها مقلوبات، منذ القديم » عن « بُركة »، و Burku، و Bérék. ومن مفاهيم Bâraka الحبشية: الامتلاك، والادراك، والوجود، والأخذ؛ وهذا غير عسير فهمه. لان وجدان الشيء وامتلاكه نوع من ركوبه. كما نقول في العربية: وقفت على الشيء، اي علوته بالمعرفة، وهو ضرب من الوجدان والامتلاك العقلي. ومن اقتناء الشيء صدر Merkab : ثمنه وأجرته. كذلك Astarkaba اجتهد في الشيء واهتم له، فهو يدل على التسلُّط عليه وركوبه. و Tarâkaba تلاقوا واجتمعوا، فيه معنى التراكب. لان الاجتماع إلتآم وتراكب. وبهذه المعناة جاء Rakéb : مجمع، مُلتأم.

أصل كلمة « كروبيم »

طُرح السؤال التالي على « مجلة لغة العرب »[1] « ذات المكانة التي تعزّ على من رامها وتطول » (سنتها التاسعة ص ٣٨٣) : « ما أصل كروب التي تجمع على كروبين، ويجمعها بعضها (بعضهم) على كروبيم وكروبيّة ؟ ».

فاجابت الموقرته الموؤودة بكلام يتعذّر نقله كلّه لطوله. فنجتزئ بايراد القسم الاوّل منه، وهو المهم لجوهر البحث. فدونكه بحذافيره « حسب الامانة العلمية... » : « كروب كلمة ساميّة من مادة كرب

(١) لصاحبها المرحوم الاب انستاس الكرملي. راجع بشأنه الذيل، في آخر هذا الكتاب.

الارض ، اي حرثها . فالكروب حارث الارض ، يراد به الثور الفحل الذي يتخذ لهذه الغاية . ولهذا جاء الكروب مرادفاً للفظ الكبير والقوي والقدير والعظيم . ثم نُقل الى قائد المائة . والعبريون اتخذوه بمعنى الملَكَ اي الروح غير المنظور الذي قد يتخذ جسماً من الاجسام للظهور للبشر خدمةً للقدرة الآلهية . وقد كان يصوَّر رمزاً الى تلك القوة والسطوة . والكلمة قديمة العهد من ايام الاكديين والشُمَريين . ثم نقلها عنها الامم الذين جاروهم . . . » وليراجع الباقي من شاء الاطلاع عليه .

أما نحن فلا نجد سبيلًا الى الموافقة على قول الموقوتة المعهودة . لذا نبسط للقارئ ما لاح لنا فيه الصواب ، استناداً الى ما اثبته العلم الصحيح :

ان كلمة « كروب » غير صادرة عن « كرب » الدال على الحرث . والكروب ليس بالثور ولا بالحارث . ومع كون عمل الحرث من اعمال الثور ، فهو لا يمكن ان يكون الا وصفاً له وقت ادائه هذا الفعل . والحارث ليس بمرادف لاسم الثور مرادفةً تجعل معنى الثور معنى الحارث ، ومدلول الحارث مدلول الثور . دع عنك ان لا علاقة بين موقف الكروب وبين حالة الثور والحارث .

كروب واردة في كثير من مواطن الكتاب المقدس في نصّه العبري[1] . ومنه دخلت في كل اللغات التي نُقل اليها ، بصيغة الجمع العبري « كروبيم » ، الذي يقابله في العربية جمع المذكر السالم ، مع ابدال الميم بالنون يسبقها واو رفعاً ، وياء نصباً وجراً ، في حين ان الجمع العبري يستمر مبنياً على الياء والميم .

عرفنا مما تقدّم من هذا البحث ان بين « برك » و « كرب » علاقة وتقى من حيث بعض معانيهما ، وان اختلفا في غيرها . وهذه المدلولات المتآخية في كلا الحرفين ، اي Karâbu الاكدي ، و « بَرك » في بقية الساميّات

(١) سفر الخلق ٣ : ٢٤ ؛ ٢ صموئيل ٢٢ : ١١ ؛ ١ صمو ٤ : ٤ ؛ خر ٢٥ : ١٨–٢٢ ؛ حزقيال ١٠ : ١ – ٢٠ ؛ ١١ : ٢٢ الخ .

هي معاني الصلاة والدعآء والسجود والتبريك والتسبيح والتعظيم . وزدنا على ذالك ان الفعلين هما من نجار واحد ، جرى فيه القلب قديماً ، فتولد منه Barâku و Karâbu . أما ثنائي « كرب » الدال على الحرث فليس من « ركْ » المراد به اللين والانحنآء والركوع ، بل من « كَرْ » المطلق على الحفر والقطع بعنف . وكما ابدينا سابقاً ، نقول الآن ان البَركة تأتي من قبل الله الى الانسان ، وتصعد من قبل ابن آدم الى ربه وآلهه . مثال ذلك في التعبير الاكدي :

(Il) Marduḫ ana épêšêka likrub. Maḫar (Il) Šamaš likrubuni-kum.

ليُبارك الآله مردوخ عملك . ليصلوا من أجلك أمام الاله شَمَش . Kurbam : صلِّ لأجلي . Kurub-ilu : بارك ايها الإله — Ikrub-Ilu : الآله بارك .

هذا وفي الكتابة الصورية ، التي تولدت منها الكتابة المسمارية ، المدونة بها اللغة الاكدية ، نجد ان العلامة الدالة على البركة التي يمنحها الآله للعباد ، والبركة التي يطلبها العباد من الآله ، قائمة على رفع اليد أو اليدين الى قرب الفم . فكما ان الآله يرفع يده اليمنى لإنزال بركته على عبده ، كذلك يرفع العبد يده أو يديه الى فمه لطلب البركة من الآله . لنا مثال على هذا في امتثال الملك حموربي أمام الآله شَمَش حين كان يملي عليه الشريعة . فان يد الملك اليمنى تُرى مرتفعة الى قرب فمه[١] . من هذه الحالة جاءت عبارة Niš-qâti (رفع اليد) أو Niš-qâtâ (رفع اليدين) رمزاً عن الصلاة ، اي رمز التضرع والتبريك والشكوان في وقت معاً[٢] .

وعلى كرور الازمان ، اصبحت هذه الحالة بمنزلة وظيفة . لذلك اشتق

(1) **G. Cantinau**, La civilisation assyro-Babylonienne, p.91; **Ch. Jean**, Milieu biblique, Vol. III, p. 46.

(2) **G. Furlani**, La religione babilonese - assera, Vol, II, p.p. 285, 294 ; **Ch. Jean**, op. cit. p. 154 s.

من فعل Karâbu اسم الفاعل Kâribu[1] ، المراد به المصلّي ، أو المتضرّع ، أو المبارِك . واقيم لهذه الغاية جماعه من الناس اطلق عليهم اسم Kâribi . وكان من مهمتهم تمثيل او تقديم المتعبّدين المؤمنين المقبلين لاداء فرض الصلاة والتبريك في الهياكل . ولذا كان من العبارات المتداولة هذه التالية : Niq šarri : ضحيَّة الملك . Niq kâribi : ضحيَّة المؤمن المتضرع والمبارك . كما ورد ايضاً Kârib Šarri عبد الملك ، و Kârib Ili : عبد الإله .

زد على ذلك ان المصلي أو العابد كان قد نزل عند الاكديين — البابليين منزلة آله وسيط بين الآله الاعظم وبين عباده . ومن هؤلاء الآلهة الثانويين المقامين لتقديم المتضرّع البشري ، أو النيابة منابه ، كان اثنان ، احدهما يُدعَى Šêdu ، والآخر Lamassu[2] . وكانت مهمتها شبيهةً بوظيفة الآله Kâribu . بيد ان هذا الآله الاخير Kâribu كان أدنى منزلة الى الآله الاكبر . ومن اسمه يستدل على انه كان الوسيط الرسمي .

كلّ هذا يدفعنا ، كما دفع غيرنا الى المتقصين ، الى تحقيق علاقة وثقى بين اسم « كروب » العبري ، واسم Kâribu الاكدي ، والارتياء بان الاسمين من اصل واحد ، وان بين معانيهما مطابقة تامة .

صفوة القول : ان « الكروبيم » خلائق روحانية قائمة حول عرش العزّة الصمدانية في السماء ، للتضرع والتوسط والتبريك والتسبيح الدائم . وقد كان لها رموز حسّيّة في قبة الميعاد وهيكل اورشليم . وقد دُعيت باسم يدل على مهمتها وعملها ، وهو « كروب جمعه كروبيم » اي المتضرعون ، والمتشفعون ، والمسبّحون ، والمباركون . وقد اخذ العبريون قديماً هذا الاسم من الاكديين — البابليين ، عن طريق التقليد ، فاطلقوه على هذه الارواح السماوية ، بعد ان جرّدوه من كل صبغة وثنيَّة كان مصطبغاً بها في الدين الاكدي — البابلي —

(1) Furlani, op. cit. II p. 335.
(2) Furlani, op. cit. II, 333, 335; Ch.Jean, op. cit. II, p.p.38, 136, 227 Bezold ص ٢٠٤ ي .

فاذا تقرّر هذا ، انهار ، على ظننا ، الراي السابق ، راي « لغة العرب » القائل « بانّ أصل كروب من كرب الارض اي حرثها ؛ وان الكروب حارث الارض يراد به الثور ، وان الكروب مرادف للفظ الكبير والقدير والعظيم الخ» .

ص — حسد

العربية :

حسد الشيء : تمنى ان يتحوّل اليه أو يسلبه . وقولهم : حسدني الله ان كنت احسدك . يراد به : عاقبني الله على الحسد . وهو مثل قوله : يخادعون الله وهو خادعهم . أحسده : وجده حاسداً . الحسد : تمني زوال نعمة المحسود اليك[1] .

السريانية :

Hsad : حسد ، غبط ، أحبّ ، ودّ ، استخفّ ، فضح .
Hassèd : أهان ، حقر ، استخفّ ، عيّر ، بكّت .
Hsîdâ : فاضل ، مغبوط — Hesdâ ، نعمة ، رحمة ، حسنة .
Hesdâ : عار ، عيب ، فضيحة ، عورة[2] .

العبرية :

Hâsad : كان لطيفاً ، حسناً ، أخجل ، أهان .
Hassèd : شتم ، احتقر ، ذمّ .
Hithassèd : لطُف ، أحسن ، رحم ، فضُل ، اتقي ، تظاهر بالتقى والفضيلة .

---

(١) اللسان ٤ — ١٢٥ ي .
(٢) منّا ، ص ٢٥٢ .

Hèsèd : لُطف ، جُود ، إنعام ، حب ، رحمة ، عار ، فضاحة ، شناعة ، جُرم ·

Hasîd : تقيّ ، لطيف ·

Hasîdâ : اللقاق ، (سُمّي بذلك لرأمه فراخه[1]) ·

تنسيق وتعليل

١ — هذه الثلاثيات الواردة في اللغات الساميّة الثلاث — لان الاكدية والحبشية خاليتان من هذه المادة — مع ظهور التنافر بين معانيها في حالتها الثلاثية ، يتجلى فيها التناسق والتلاؤم اذا رددناها الى اصلها الثنائي ، وبدأنا منه النظر في تطور فحاويها ·

٢ — الثنائي الأصل لهذه الثلاثيات هو «حَسْ» ودونك اهم مدلولاته، التي تعنينا ، في هذه الألسن السامية الاخوات ·

العربية :

حسّ : رقّ له وشعر به — أحسّ الشيءَ إحساساً : شعر به ، مثل حسّ · أحسّ الخبرَ : علمه ، و— الشيءَ : أبصره · الحَسّ : الرّقة · الحِسّ : الصوت الخفيف ، الحركة ، الرّنة[2] ·

السريانية :

Has̆ (بالشين عوض السين) : أحسّ ، شعر ، حزن ، تألّم ، تأثّر ·

Hâs̆ôsâ : متألّم ، حنون ، شفيق ·

Has̆s̆â : حُزْن ، ألَم ، غمّ ، تأثّر ، هوى ، ميل ، انحراف[3] ·

---

(١) Elmaleh ٥٠٨ ي ·

(٢) اقرب الموارد ١ — ١٩٠ ي ·

(٣) منّا ، ص ٢٦٧ ·

العبرية :

Hâsas : خاف ، إتّقى ، شعر ، تألم ، تأثر ، اهتم ، انتبه ، ارتبك[1].

٣ — في الاصل الثنائي دلالة الشعور ، والرقة ، والألم ، والحنو . ثم الميل ، والهوى ، والانحراف . ثم الاهتمام ، والارتباك ، والانتباه للشيء .

٤ — الشعور من باب الاطلاق ، هو التأثر بفعل شيء . وهذا الشعور قابل ان يكون تأثراً طيّباً ، أو سيّئاً . فان كان طيّباً ، ينجم عنه الرقة ، والحنو ، والفرح ، والغبطة ؛ وان كان سيئاً ، ينشأ عنه الألم مادياً ، والحزن أدبياً . ثم قبل حلول الألم والغم ، يسبق الارتباك والخوف منهما والسعي في اتقائهما .

٥ — من الشعور باثر جيّد طيّب يحصل الميل الى الموضوع المؤثّر ذلك الأثر ، والرغبة في ما ينجم عنه من الخير والمنفعة . ومن الحِسّ بتأثير رديء يصدر النفور والكراهيّة من التأثير المضرّ والابتعاد والانحراف عنه .

٦ — وهذا الميل الى ، أو الانحراف عن ، يتطوّران في معاني « حسد » الثلاثي ، الذي اضيف فيه الى « حِسّ » حرف الدال تذييلاً لزيادة المعنى .

٧ — فالدلالة الاصلية « لحسد » هي كدلالة « حسّ » اي الميل بنوعيه : ميل الى ، وميل عن . من ذلك نجم في « حسد » طائفتان من الفحاوي الثانويّة . من الجهة الواحدة مفاهيم العطف ، واللطف ، والغيرة ، والاحسان ، والشفقة ، والمحبة ، والتقى ، طبقاً لمواضيع هذا الميل ، أو هذه الغيرة . ومن الجهة الاخرى مدلولات الحقد ، والبغضة ، والحسد ، والاحتقار ، والاهانة ؛ والشتم .

وهكذا ، برد الثلاثي « حسد » الى الثنائي « حَسْ » ، وبدء التطوّر المعنوي من هذا الاصل ، وتحقّق دلالة الميل الايجابي تارةً ، ودلالة الميل

---

(1) Elmaleh ص ٥٤٩ .

السلبي تارةً أخرى ، يتجلى لنا ان توسّع هذه المادة توسعٌ معقول وتطورٌ منطقي ، فهي بعيدة عمّا يظهر فيها من التنافر .

ض — جلَد

العربية :

جلُد : كان ذا صلابة وجلادة . جلِدت أو جُلِدت الارض : وقع عليها الجليد. جلِد البقل : اصابه الجليد . جلده بالسيف والسوط : ضربه به ، واصاب جلده ، صرعه ، اكرهه . أجلده : أحوجه . أجلدت الارض : أصابها الجليد . جلّد الجزور : سلّخ جلدها . جلّد الكتاب : ألبسه الجلد . جالده بالسيف : ضاربه به . تجلّد الرجل : اظهر الجلَد ، أو تكلّفه . الجلْد : الشديد القوي . الجلد : المسْك أو الأديم من كل حيوان . الجليد : الشديد القوي ، والجليد : الماء الجامد من البرد . المجلّد : من يغلّف الكتب بالجلد . المجلّد : ما جُلّد من الكتب[1] .

السريانية :

Glad : جلِد ، جمَد ، تجلّد — Gallèd : جمّد ، جلّد .

Aglêd : جلّد ، جمّد ، جلِد ، جمُد . Mageldânâ : جامد .

Gelda : جِلد ، مسْك ، أدَم[2] .

العبرية :

Gâlad : جمَد ، جلَد ، سلخ الجلد . Haglèd : جمُد ، جلِد .

Gélèd : جِلد ، قشر ، أدم ، مسك .

Gelîd : جليد ، جمْد[3] .

---

(١) اللسان ٤ — ٩٦ ي ي .

(٢) منّا ، ص ١٠٧ .

(٣) Elmaleh ص ٢٣٠ ي ي .

الأكّدية :

Gelâdu : رِجلد ، بشرة ، مَسك .

Galâdu : نبض ، تحرّك ، رجف ، خفَق .

Igtanalad : خاف ، فزِع ، ارتعب ، اغتمّ .

Ugallad : جرَح ، ظلم ، أضر ، أهان .

Usaglad : تحرّك ، خاف ، ارتعب[1] .

الحبشية :

Galada : جلِد ، ثبت . حمّل ، عزَم ، طبّق على . أذهل ، أرعب حمل على الضوضاء والفتنة[2] .

تنسيق وتعليل

١ — مجمل معاني «جلد» : صلُب ، جمد ، سلخ ، ضرَب بالسيف . أجلد : أحوج ، صرع . الجلد : القوي ، والَمسك . الجليد : الماء الجامد . من معانيه ايضاً . حرّك ، نبَض ، خفق ، ارتعب ، ارتجف ، اغتم ، ظلم ، أهان .

٢ — كل هذه المداليل المختلفة والمتضاربة تتلاءم وتتناسق اذا رددنا الثلاثي « جلَد » الى ثنائيه « جَد » . ودونك اهم ما يهمنا من معانيه .

العربية :

جدّ الشيء : قطعه . وجدّ : اشتد واجتهد . جَدّ : كان ذا حظ وتوفيق . وَجدّ : يبس . الجدَد : الارض الصلبة الغَليظة ، الصحراء . الَجدّ : أبو الأب أو الأم ، البخت ، القطع ، صرام النخل . الُجدّ : جانب كل شيء . الِجدّ : شاطىء النهر ، الاجتهاد بالأمر[3] .

(١) Bezold ص ٩٧ و ٩٨ .

(٢) Dillmann ع ١١٦١ .

(٣) اللسان ٤ — ٧٧ يي .

السريانية :

Gad : جدّ ، قطع ، نسج ، سُرّ ، فرِح ، ارتفع .

Gaddad : معك ، حكّ ، فرك ، ابتلى ، جرّب .

Gaddèd : جَدّ ، قطع ، جذب ، قبض ، نسج ، تقبّض برداً .

Gdâdâ : غنم ، ضأن ، لانها تجدّ أو تقطع .

Gaddâ : جَدّ ، حظّ ، غبطة[١] .

العبرية :

Gâdad : جَدَّ ، قطع ، قطف ، اجتمعوا ، تحالفوا ، عرفوا .

Higgadèd : قطع ، نحت .

Gadgèd : شرط .

Hitgadèd : تزاحموا ، تجمعوا ، جرح نفسه ، وشم ، استوشم .

Gâdûd : عصابة ، شرذمة ، تجريدة من العسكر[٢] .

الحبشية :

Gadada : جدِ ، قسا ، أزعج .

Gôdat : ثِقل ، خطورة شدّة[٣] .

الاكّديّة :

Gâdu : كسر ، فصم[٤] .

٣ — الفكرة الاولى الاساسيّة في الثنائي « جَد » ، في مختلف هذه اللغات ، فكرة الشدة الضروريّة لبذل الجهد مادياً وادبياً . فمن ذلك نشأ معاني قسا ، قطع ، فصم ، نحت ، جزر ، قطف ، شرط ، تزاحموا ،

(١) منّا ، ص ٩١ .

(٢) Elmaleh ٢٠٨ ؛ Brown ١٥٠ .

(٣) Dillmann ١٢٠٤ ي .

(٤) Bezold ص ٩٧ .

وفيه معنى الشدة ، والجد . وهذه الشدة ، اذا أثّرت في الغير ، يتأتّى عنها الجرح ، والوشم ، والثقل ، والانزعاج . من ذلك ايضاً اليبس ، لان الجلد اذا قطع جفّ . وجدّ الثوب : كان جديداً اي مقطوعاً من المنسج . والجد : ابو الاب والام ، لانه هو الاصل الذي تصدر عنه العائلة ، اي تقطع . والجدّ : البخت ، لان الحظ يُقطَع فيخصص بالمحظوظ . من الشدة جآء في السريانية معنى : معك ، فرك ، ابتلى ، تقبّض برداً .

٤ — بعد هذا الذي عرفناه من فحاوي الثنائي « جدْ » ، يمكننا الانتقال الى مزيده ، أي ثلاثيّه وهو « جلد » فنرى فيه متواصلة متتابعة فكرة الشدة والجهد . من ذلك ورد في العربية مفاهيم الصلابة ، والجلد أو الضرب بالسيف ، ومعنى الصرع ، وسلخ الجزور . ومن الصلابة والشدة ينتج القطع في اختلاف فحاويه .

٥ — أما « جلد » وما فيه من فكرة التجلُّد أو التجمُّد ، فكذلك صادر عن الأصل الثنائي الدال على الشدة ، ومنها التجمُّع والتكوّم . نرى ذلك في كلمة « الجليد » فمعناه الاول : الشديد القوي ، ومن المدلول الاول صدر المدلول الثاني وهو : المآء الجامد . والمآء الجامد هو المجتمعة نقطه بعضها على بعض بفعل البرد الشديد .

٦ — الجلد : المَسْك أو الاديم من كل حيوان . لانه يُسلَخ ، مما يتطلّب شدة وجهداً ، ويقطَّع قطعاً . وهو محتوٍ في معاني « جدْ » الثنائي .

٧ — أما « جلّد الكتاب » : ألبسه الجلد ، فهو فعل ارتجالي متولّد من اسم الجلد . ومن ذلك المُجلِّد : صاحب صنعة إلباس الكتب جلداً . والمجلّد : هو الكتاب الملبّس أو المغلّف بالجلد .

٨ — أما المعاني الاكديّة لهذه المادة فهي ناجمة كذلك من « جدْ » الوارد فيها بوزن الناقص Gâdu : كسر ، فصم . فهي متضمّنة الفكرة

الأولى ، فكرة الشدة . لأن الجهد ضروري للتحريك ، والجرح ، والمضرة ، والتهويل . ومن ذلك نشأ النبض ، والرجفة ، والخفقان ، والفزع ، والاغتمام .

صفوة القول : الاصل الثنائي هو « جد » الدال على القوة والشدة والقطع ، ثم على التجمع والتجمد . وهذا المعنى ، بفرعيه ، قد تطور في عامة مفاهيم « جلد » كما ظهر من هذا البسط . اذن ليس في « جلد » تنافر في المعنوية ، بل بالعكس تلاؤم وتلاحم ومنطقية . وهذا فضل الثنائية والالسنية السامية .

ط ـ قال

العربية :

قال الرجلُ : تلفظ . قال به : حكم واعتقد . قال عنه : روى . قال براسه : تكلم باشارة . قال فيه : اجتهد . قال عليه : افترى . القول : كل لفظ يدل على معنى ، و ـ الرأي والاعتقاد . القوليّة : الغوغاء . القوّال : الكثير القول . القيل : الملك[1] .

قال يقيل : نام في القائلة . و ـ اذا شرب نصف النهار . القائلة : الظهيرة . وتكون بمعنى القيلولة ـ القَيل : اللبن الذي يُشرَب وقت القائلة اي نصف النهار . القيلولة النوم عند الظهيرة . الاستراحة نصف النهار[2] .

السريانية :

Qâlâ : قول ، لفظ ، كلام ، صوت ، غوغاء ، ترتيلة ، لحن ، وزن شعر ، رأي ، انتخاب .

Qâlâ d'âlâhâ (صوت الله) : رعد ، صاعقة .

---

(١) اللسان ١٤ — ٩٠ يي .
(٢) اللسان ١٤ — ٩٦ يي .

Bar qâlâ : قول ، صوت ، صدى ، ترتيلة .

Bât qâlâ : قول ، لفظة ، صوت ، صدى ، لغة ، رأي ، انتخاب[١] .

العبرية :

Qôl : صوت ، دويّ ، طنين ، صدى ، صراخ ، رعد[٢] .

الاكّدية :

Qâlu : تكلّم ، دعا ، صرخ ، أنَّ ، نحب ، تشكّى .

Qûlû : تكلُّم ، تلفُّظ ، كلام[٣] .

الحبشية :

Qal : صوت ، طنين[٤] .

تنسيق وتعليل

١ — لاظهار تناسق معاني هذه الالفاظ الساميّة الصادرة عن الاصل الواحد ، يقتضي ردّها الى ثنائيها وهو « قلْ » . وهذه اهم مداليله في اللغات الأخوات :

العربية :

قلّ : ضد كثر . قلّ الشيءَ : حمله ، ورفعه . قلّ الجسم : ضَوي؛ قلّ الشيء : ارتفع . وهو يقلّ عن : يصغُر . القُلّ : القليل ، الزهيد ، ضد الكثير . القُلّة : اعلى الراس والسنام وغيرهما . القليل : القصير؛ النحيف[٥] .

---

(١) منّا ؛ ص ٦٦٢ .

(٢) Elmaleh ص ١٤٥٥ .

(٣) Bezold ٢٤٠ .

(٤) Dillmann ع ٤١٠

(٥) اللسان ١٤ — ٧١ ي ي .

العبرية :

Qâlal : خفّ ، نقص ، حقر .

Qallel : حقّر ، لعن ، أحطّ ، أهان[١] .

السريانية :

Qal : قلّ ، نقص ، خفّ ، هان ، عجّل .

Qalqal : خفّف ، حقّر ، قلقل .

Qalûlâ : خفيف ، حقير ، دنيء ، سريع ، عدّاء ، طائش .

Qalîlâ : قليل ، ناقص ، خفيف[٢] .

الحبشية :

Qalala : خفّ ، قلّ ، صغّر ، سهل ، هان[٣] .

الأكّدية :

Qalâlu : خفّ ، قلّ[٤] .

٢ — أول فكرة في هذه الفحاوي ، فحاوي هذا الثنائي ، هي فكرة الضوى ، أو الضعف المعاكس للسِمَن والضِخَم . وكما ان الثقل ناتج عن السمن والضخامة ، فالخفة ناجمة عن الضعف . اذ السمين أو الضَخْم ، ومن ثم الثقيل ، يضحي خفيفاً اذا ضعف ، اي متى زالت سمانته وضخامته .

٣ — من القلة والخفة تصدر السهولة والعجلة . وتتأتى من ذلك ايضاً فكرة النقصان في الكمّيّة وفي العدد . ومن باب المجاز ، إذا كان الشيء زهيداً ، اي قليلاً ، استخفّه الناس ، فاحتقروه ، فأهانوه ، فلعنوه .

---

(١) Elmaleh ص ١٤٧٠

(٢) منّا ، ص ٦٧٦ .

(٣) Dillmann ع ٤١٠ .

(٤) Bezold ص ٢٤٣ .

٤ — ومن النواميس الطبيعية انّ الشيء اذا خفّ ، أي قلّت كميّته مال الى الارتفاع . كالمآء اذا تبخّر علا في الفضآء ، لانه يكون حينئذٍ أخفّ من الهوآء . من ذلك الثنائي « قَل » بمعنى ارتفع وعلا . وجاءت القُلّة دالةً على اعلى الرأس والسنام وغيرهما . والقُلة : الجرة الكبيرة ، لانها تُرفَع اذا امتلأت وتُحمَل .

٥ — من الثنائي « قَلْ » جآء الاجوف « قال » أو الثنائي الممدودة حركة أوله . وفيه واصلت معاني الثنائي تطوّرها الطبيعي . فمن فكرة الارتفاع ، أحد معاني « قَلْ » جآء في العبرية الاسم Qôl . وفي السريانية Qâlâ ، وفي الحبشية Qâl . بمدلول الصوت ، والصراخ ، والطنين ، والنحيب ، والدويِ ، والرعد ، والصاعقة . وفي كل ذلك ارتفاع في الرنين . وفي الاكدية جآء الفعل Qâlu : صرخ ، أنّ ، نحب ، تشكّى . أما العربيّة ، فلم يرد فيها القول بهذه المعاني الاوليّة للصوت ، بل بدأ في معاني طوره الثاني ، وهو الصوت الخاص ، اي الصوت الملفوظ ، أو الكلام . وفي هذا اتفقت العربية والأكّدية . اذ في هاتين اللغتين ، ورد « قال ، و Qâlu : بمعنى تلفظ ، تكلّم . ومن خاصة التلفظ تولّدت اللغات . ومن التكلم نشأ الدعآء .

٦ — واذا كان في الصوت ايقاع ، نرى في السريانية Qâlâ بمدلول اللحن ، والترتيلة ، ووزن الشعر .

٧ — ومن قبيل التوسّع ، أُتخذ « Qâlâ » في السريانية و « القول » في العربية ، بمفهوم الرأي ، والاعتقاد ، والانتخاب او التصويت . وجآء ايضاً مجازاً بمعنى الاشارة بالراس . ثم هناك كلمة « القَيل » : الملك . لانه يقول ما يشآء ، وينفذ قوله .

٨ — بيد ان في العربية معنى غريباً بعيداً عن هذه المفاهيم ، مفاهيم مادة « قال » . ألا وهو فحوى النوم وقت الظهيرة ، أو نصف النهار .

بيد عند انعام النظر لا يعسر ادراك ذلك . فقد سبق لنا القول اعلاه ان الثنائي « قل » يدلّ على العلو والارتفاع . وقد جآء « قال » ايضاً بمعنى رفع . والقائلة تعرَّف بكونها نصف النهار . لكن ما هو نصف النهار الا حين ترتفع الشمس فتصل الى كبد السمآء . فسُمِّي نصف النهار « قائلة » من ارتفاع الشمس الى اعلى درجة من العلو . فقد ورد : أتانا في قائلة النهار، اي في منتصفه ، أو بعبارة أخرى في قيلولة او قائلة الشمس اعني وقت ارتفاعها . والقيلولة : الاستراحة عند ارتفاع الشمس في كبد السمآء ، اي الظهيرة ، او نصف النهار ، سوآء كان معها نوم أم لم يكن . هـذا من تسمية الشيء باسم الحين الذي يجري فيه . ولذا استعملت القائلة والقيلولة مترادفتين . قال الازهري : القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار عند العرب ، وان لم يكن مع ذلك نوم[1] .

الخلاصة : من الضعف الدال عليه الثنائي « قل » جآء معنى الخفة ، ومن الخفة الارتفاع . وفي الصوت ارتفاع ، وكذلك في كل انواعه ، من الرنين الى الغوغآء الى الرعد ، الى الصاعقة . ثم الصوت الخاص وهو اللفظ او الكلام ، ومنه اللغات . ومن الصوت الموقّع الالحان والتراتيل . واذ كان الانسان يعبّر عن افكاره بالكلام جآء القول بمعنى الفكر ، والرأي ، والاعتقاد ، والانتخاب . وأما المعنى الخاص بالفعل العربي « قال يقيل » فهو ايضاً ناشيء عن الارتفاع ، ارتفاع الشمس في نصف النهار . فاطلق على الاستراحة أو النوم حين توسّط الشمس في كبد السمآء ، اي وقت القائلة أو الظهيرة . وهكذا تلمس التماسك والتلاحم والمنطقية في تطوّر هذه المداليل من بدئها الى آخرها . وما ذاك الّا بفضل الثنائية والألسنية السامية .

---

(١) التاج ٨ : ٩٢ .

ظ ـ عَقَل، وأصل العَقْل

العربية :

عقلَ البعيرَ : ثنى وظيفه على ذراعه، فشدّهما معاً بحبل هو العقال؛ و— الدواءُ بطنَه : أمسكه ؛ و— الغلامُ : أدرك، فهو عاقل ؛ و— الشيءَ : فهمه وتدبّره . عقَّله عن حاجته : اذا حبسه . أُعتُقِل لسانه : حُبس[1] .

السريانية :

Eqal (عين) : عقل، كتّف، ربط، حبس، انقبض، تعب .
Eaqqèl : عوّج، لوى — Eqalqèl : عوّج، فتل، لوى .
Earqèl : عقل، عوّج، لوى، عاق، عثّر، حيّر، عقّد، أنشب[2] .

العبرية :

Eâqal (عين) : لوى، عقل، ربط — Eqalqal : ثنى، عقب، عوّج، ربط[3] .

العربية :

الثنائي : عقّ، شقّ، رمى، ترك الشفقة، استخفّ[4] .

السريانية :

Eqâ (عين) : عطف، لوى — Eêqâ : طوق .
Eqâqâ : أعوَج، أحدَب، مائل، مُنطَوٍ[5] .

* * *

---

(١) اللسان ١٣ — ٤٨٥ يي .
(٢) منّا، ص ٥٦٠ .
(٣) Brown ص ٧٨٥ .
(٤) اللسان ١٢ — ١٢٧ يي .
(٥) منّا، ص ٥٩٥ .

١ — في معاني هذا الثلاثي ، في مختلف اللغات السامية ، مدلول الشدّة . وهذا المعنى كامن في الثنائي « عَقْ » ، ومعناه : شقّ ، رمى . والشق متطلّب الشدة . وفي الناقص السرياني Eqâ بدأت تتطوّر المداليل . فجاء بمعنى عطف ، لوى ، ومن ذلك Eèqâ : الطوق ، وفيه التواء مع دوران . و Eqâqâ : أعوَج ، أحدَب ، مائل ، منطوٍ .

٢ — في الثلاثي « عقل » ، المزيدة فيه اللام زيادةً للمعنى ، جاءت الفحاوي المتقاربة في الالسن السامية الاخوات ، ومجملها : الثني ، اللوي ، العوَج ، الربط ؛ ثم المنع ، الحبس ، الانقباض ، التعب ؛ ثم التحيير ، والتعقيد .

أصل كلمة « العقل »

هناك من يزعم أن أصل لفظة « العقل » من اللغة اللاتينية ، اي من كلمة Oculus ، ومعناها العين .

دحضاً لهذا الرأي القائل يمكن اثبات القضيّة بالبرهان السلبي ، ثم بالبرهان الايجابي . أما السلبي فهو ان اللفظة اللاتينية Oculus الدالة على العين ، لا تعني بذاتها ووحدها « العقل » ، لا وضعاً ولا مجازاً . فان العقل في اللاتينية يطلق عليه كلمة Mens ، أو Spiritus ، أو Intellegentia . أَما في المجاز فتضاف Oculus الى Mens أو الى Spiritus ؛ فيقال Oculus mentis ، أَو Oculus spiritus ، يراد بها « عين النفس » لتعيين الادراك . كما يقال ايضاً مجازاً Oculus mundi « عين العالم » اي الشمس ؛ دون ان تعني Oculus ، وهي منفردة ، الشمس ذاتها . فكما ان العين يراد بها ؛ من باب الوضع اللغوي ، الحاسّة التي تدرك المنظورات ، فالعقل ايضاً هو العين التي بها تُعرَف المعقولات . وهذا التشبيه طبيعي وبشري ؛ وله وجود عند كل الاقوام ؛ وهو كذلك في العربية ؛ لكن لا في لفظة « عَقل » ، بل في مفردة « بصيرة » . فالبصر هو النظر ، وآلة البصر هي العين أو الباصرة .

وللدلالة على عين النفس التي تدرك ، او تعقل ، وضعوا كلمة « بصيرة »، كما قال اللاتينOculus spiritus اي عين النفس أَو الروح ٠

أَمّا لفظة « عَقْل » ، فلا تدلّ على « العين » لا وضعاً ولا مجازاً ؛ لا في العربية ، ولا في اللاتينية ٠ اذاً لم يستعر العرب ، لا العقل — وهو خاصة تشمل سائر بني آدم — ولا لفظه من اللاتينية ٠

زيادةً على ذلك ، تُثبَت القضية بالبرهان الايجابي وهو ان العربية ليست بمفتقرة الى استقراض هذه المادة ٠ لكونها في ذا الشأن — كما في غيره من الشؤون اللغوية — اغنى من سواها من الألسن ٠ ودونك على سبيل المثال طائفة من المفردات المطلقة على قوة النفس المدركة : « الذهن، الذكاء ، اللُّب ، الفؤاد ، الفهم ، الفطنة ، الادراك ، الحدْس ، الرَّكن ، العقل ، الحجى ، النهى ، البصيرة ، الحذق ، الثقافة ، الطبنة ، اللقانة ، الرُّشد ، الدراية ، الصواب »٠

فهل يقبل العقل الشريف ان لغتنا الكريمة ، الغنية هذا الغنى ، تحتاج الى كلمة تدل على العقل ، فتضطر الى استقراضها من لسان اجنبي ؟

هذا وكلٌّ من هذه الكلمات يدل على خاصةٍ ، او قوةٍ، او فعل راجع الى النفس البشرية العاقلة ٠ ومن جملة هذه الكلم لفظة « العقل » المشتقة من « عَقَلَ » المراد به « المَنع » ٠ لان احد افعال النفس متوقف على منع الانسان ممَّا لا يليق ٠

و « عقَل » ، من حيث اللغة ، معناه : أوثق ، أو ربط الحِمل أو غيره بوثاق ٠ ومنه « العقال » للبعير ، وهو الحبل الذي يوثق به ٠

و « عقَلَ » الثلاثي ناشىء عن « عَقَ » الثنائي بزيادة اللام تذييلًا ٠

و « عق » يعني : شقّ ، رمى ، عصا ، وفي كلّها مدلول القوّة ٠ وتوسّعت فكرة الشدة في « عقَلَ » ، متخصِّصة لمنطوق الايثاق والوثاق، والربط والرباط ٠ ومنه المنع ، وهو من خواص العقل الادبية ، اي تحريم

الشرّ . ومن مرادفات « العقل » ، بهذا المعنى الادبي ، لفظا « الحجى » و « النهى » فيُدعى العقل ، « حِجى » ، لانه يحجو المرء ، أي يمنعه ، عن الضلال والفساد . ويسمّى « نُهى » ، لكونه ينهى صاحبه عن المنكر ، اي يمنعه ويصده .

لفظ « العقل » ليس بمنحوت من « عين القلب »

هناك زعم ابتدعته احدى المخيلات الخلّاقة . وهذا هو بجذافيره .

« لو قلنا ان العرب قالوا « عين القلب » ؛ ثم نحتوا من الكلمتين كلمة واحدة « عقل » ، لما ابعدنا عن الصواب » .

يُتخطى الى دحض هذا الوهم بالقول انه يفترض — اذ الأمر ليس بأكيد في عين صاحبه — ان العرب قالوا « عين القلب » . فاذا كانوا قد استعملوا ذلك بالحقيقة والواقع ، كان من واجب المدّعي ان يسرد نصاً مؤيداً ورود هذه الاستعارة . وهي « عين القلب » على لسان الاقدمين . اذ العلم في عصرنا غير مستند الى التخيّلات ، بل الى الشواهد النصيّة المحسوسة الملموسة . ونحن من غير المؤمنين الّا بالنصوص .

أجل اننا غير جاحدين وجود الاستعارة — وهي امر طبيعي في عامة ألسنة بني آدم — بيد ليس بوسعنا قبول النسبة الى العرب الّا ما سُمع عنهم بسبيل المأثور . هذا لا يصدّنا ، نحن العصريين ، عن استنباط استعارات جديدة ملائمة ذوقنا ، طبقاً لاساليب العرب ، أو بمناحٍ مبتكرة ؛ مما هو جارٍ على يراعات معاشر منشئينا . فعبثاً يكدّس المماحكون الاستعارات فوق الاستعارات الطافحة بها اسفار اللغة والادب . فهذا من المقرّرات التي لا ينكرها الّا جاهل ، أو مكابر . غير انه ليس بالدليل الساطع على ما نحن في صدده ؛ بل ان الحجة الدامغة هي ان يُوضع تحت انظارنا نص حاوٍ الاستعارة المسفورة ، مقتبسة من كلام القدماء ، ومعزّزة بذكر المراجع . وهذا المهم والضروري قد قصّر عن القيام باداءه ربّ هذا الزعم .

مما زاد في الطين بلّة هو الفقرة الثانية من متن هذا الرأي القائل وهي «ثم نحتوا من الكلمتين كلمة واحدة «عقل» . فردّنا على هذا كردّنا على الاول ، اي بطلبنا إيراد النصوص . فأين يا ترى النصوص التي تدلنا على هذا النحت الغريب ؟ ونحن من الذاهبين الى ان العربية لغة اشتقاق ، ولا لغة نحت . اذ المنحوتات فيها سماعيّة ، لا قياسيّة . وهي الفاظ قلائل تذكر المعجمات من اي كلمات نُحتت . مثلًا : البسملة ، الحمدلة ، الحوقلة ؛ فهي منحوتة من : بسم الله ، الحمد لله ، ولا حول ولا قوة . فما لنا ، والحالة هذه ، الّا رمي زعم هذا الزاعم في سلّة المهملات . وعسى ان يأتينا يوماً أحد جهابذة اللغة — اذا وجد الى ذلك سبيلًا — بنصّ يثبت ان «العقل» كلمة منحوتة من مفردتين ، هما «عين ، وقلب ! !» .

هذا ويتمادى الواهم في وهمه ، فيضيف : «لو قلنا ان العقل من «عَق» لكان مقبولًا . لان العقة هي البرقة المستطيلة في السمآء . وهل العقل الّا وميض النفس ، و «عين القلب ؟» » .

قلت : انيّ ثابت على قولي بان «العقل» من «عق» . بيد ان هذه المادة لا تدل قطعاً على «العين ، أو الوميض ، أو البرق» . بل هي ، في أصلها ومشتقاتها ، تعني «الشق ، او الخرق ، أو السهم» . فمن اراد تحقق ذلك مفصّلًا ، فما عليه سوى مراجعة أُمهات كتب اللغة . من ذلك ما جآء في تاج العروس (٧ — ١٦ ي ي) : «انعقت السحابة : تبعّجت بالمآء وانشقت . وكل انشقاق فهو انعقاق . يقال : انعقّ الثوب ، اي انشق . وعقّ وانعقّ البرق : انشقّ . والتركيب يدل على الشق . واليه ترجع فروع الباب بلطف ونظر . العقيقة والعقّق : البرق اذا رأيته وسط السحاب كانه السيف المسلول (اي حين يخرق أو يشق السحاب ، شق السيف النافذ) . والعَقَّة : البرقة التي تستطيل في عرض السحاب (اي تشقه) . والعقة : الحفرة العميقة في الارض» .

الخلاصة : العقل كلمة عربية قحة ، لا غبار عليها . فلا حاجة الى

استعارتها من لغة اجنبيَّة. وهي لا تدل على « العين » أصلًا ، لا في العربية، ولا في اللاتينيّة – كما وهم في مدّعاه أحد أئمة اللغة الراحلين – ولا هي منحوتة من « عين القلب » ، ولا تطلق على الوميض ، ولا على البرق بوصفه لامعاً – كما خبط خبط العشواء أحد اشياعه الخائبين ، أو قل ولده واستاذه معاً ، الاستيام ... وإمامنا الشيخ مناهز الثمانين !! انما العقل ، كما أبنّا ، مشتقة من « عقَلَ » الدال على الربط والايثاق . وهـذا الثلاثي ناجم عن الثنائي « عَق » ، المراد به الشقّ ، والخرق ، والرمي . ومن الشقّ نشأ معنى المنع والصدّ . وهو عمل العقل من الباب الادبي .

ع ـ ندِم والمدامنة

العربية :

ندم على ما فعل : تاب عنه وكرهه . تندَّم على ما فعل : تحسَّر على فعله اياه . نادمه على الشراب : جالسه عليه . تنادم القوم على الشراب: تجالسوا . النَدْم : الكيّس الظريف. النَدمان والنديم : المنادم أي المجالس على الشراب ، أو كل رفيق ومصاحب[1].

الثنائي « نَدْ »

العربية :

ندَّ البعيرُ : هام على وجهه شارداً ، ابتعد . ندّد الإبلَ : فرَّقها ، اي أبعد بعضها عن بعض . ندّد صوته : رفعه ، اي رماه الى بعيد ؛ ندّد بعيوبه : صرّح بها ، ارسلها الى بعيد . نادّه : خالفه ، اي ابتعد عنه بالراي . تنادّوا : تنافروا اي تباعدوا . النَّد : التل المرتفع في السمآء،

(١) البستان ص ٢٣٩١ .

اي المبتعد عن الارض • النّدّ : المِثل ، ولا يكون الّا مخالفاً ، اي مبتعداً • ندا : اعتزل وتنحى . ندي الصوت : ابتعد[1] .

السريانية :

Nad : أَنِف ، عاف ، تقزّز ، نفر ، سئم ، مقت •

Nâd : ناد ، تحرّك ، نهض ، تاه ، ضل •

Ndâ : طفر ، تصاعد ، ابتعد ، نفر ، هرب ، تفرّق[2] .

العبرية :

Nâdad : تحرك ، ابتعد ، تنحى ، هرب ، تاه •

Nâdah : أَبعد ، فصل ، حرم •

Nedôd : جولان ، هرب •

Nidâ : نجاسة (بصفتها مكروهة ، ممقوتة) .

Nèd : كومة مرتفعة[3] .

الأكّدية :

Nadû : رمى ، مدّ ، سكب ، أبعد ، طرد[4] .

الحبشية :

Nadâ : دفع ، طرد .

Nadaya : طاف ، جوّل ، تاه ، ابتعد ، هرب .

Nad, Nadada : التهب ، لظى ، تلألأ ، لمع ، ابرق ، تطاير شراره[5] .

---

(١) البستان ص ٢٣٨٧ .

(٢) منّا ، ١٣٤ ي .

(٣) Brown ص ٦٢٢ ؛ Elmaleh ص ٩٩٦ ي .

(٤) Bezold ص ١٩١ ي .

(٥) Dillmann ٦٨١ ي .

تنسيق وتعليل

١ – الظاهر ان العربيَّة متفردة بالوزن الثلاثي « ندم » وظاهر ايضاً التنافر والتضادّ في معانيه . اذ ليس من لحمة معنوية بين الندم، وهو كراهة العمل السيء، وما ينجم عن ذلك من الحزن والغم؛ وبين المنادمة، وهي المجالسة على الشرب، ممَّا يرافقه الفرح والحبور .

٢ – « ندم »، بمعناه الاول في الثلاثي، صادر عن الثنائي « نَدْ » وهذا حاوٍ فكرة الحركة والاهتزاز والانتشار، في بدء تطوُّر فحاويه. من ذلك جآء في العبريَّة Nâdad : تحرَّك، وفي الحبشيَّة Nad و Nadada : تلألأ، التهب، تطاير شراره . ومعلوم ان الحرارة حركة، وما اللهبات الا تطاير الشرارات؛ وفي السريانية Nôd : نَاد، تحرَّك .

٣ – تتوسع الحركة بالانتشار والابتعاد. من هذا تولَّد في العربيَّة: ندّ البعيرُ : ابتعد وهام على وجهه، شرد . ونَدِيَ الصوتُ : ابتعد . وندى : اعتزل، وتنحَّى. وندَّد بعيوب غيره : صرَّح بها، اي ارسلها الى بعيد . وفي السريانية Nda : ابتعد . وفي الاكدية Nadû : مدّ، أبعد، طرَد . وفي الحبشية Nadâ : دفع، طرد، و Nadaya : طاف، جوَّل، ابتعد، هرب . وفي العبرية . Nâdad : تنحَّى، ابتعد، هرب، تاه . و Nâdah : ابعد، فصل، حرم . Nedôd : جولان، هرب .

٤ – يمكن حصول التباعد والإبعاد ليس بالامتداد وحسبُ، بل بالارتفاع او الانخفاض. من ذلك في العربية : ندَّد صوتَه : رفعه، اي ابعده الى فوق. النَّدّ : التل المرتفع في السمآء، ومن ثم بابتعاده عن الارض. وفي السريانية Ndâ : طفر، تصاعد . و Nôd : نهض، قام، استيقظ . وفي العبرية : Nèd : كومة مرتفعة . وكذلك بانخفاض . مثلاً في الاكَّدية Nadû : رمي، سكب، اي أبعد الى تحت .

٥ — ينتج الابتعاد أَحياناً من المخالفة ؛ من هذا ورد في العربية: نادَّه : خالفه ، اي ابتعد عنه بالراي . تنادّوا : تنافروا ، تباعدوا . النِّد : المِثل ، ولا يكون الّا مخالفاً ، اي مبتعداً .

٦ — ينشأ الابتعاد أَحياناً أخرى عن الكراهة والمقت . فجآء في السريانية : Nad : أَنِف ، عاف ، تقزّز ، نفر ، سئم ، مقت . وفي العبرية : Nidâ : نجاسة ، بكونها مُشمأَزاً منها ، ممقوتة .

٧ — توّسعت فكرة الابتعاد ، والنفور ، والاشمئزاز ، في العربية ، في فعل « نَدِمَ » بزيادة الميم تذييلًا . فاستُعْمِل ندم بمعنى تاب عمَّا فعله وكرهه . وتندّم على ما اتاه : تحسّر على فعله اياه . وما الندم والندامة الا النفور والمقت للعمل السيء أو الشرير الذي صدر عن المرء . وهذه الفكرة نجدها في الثنائي العربي « نَدْ » بالابتعاد ، من باب الاطلاق ؛ وفي الثنائي السرياني Nad ، وفيه فحوى الابتعاد من باب التقييد ؛ وهو النفور ، والتقزّز ، والمقت ، والتحسر على ما جرى من الشر . وهكذا نرى ان فكرة الندامة المتضمنة في الفعل الثلاثي العربي قد سبقت فوُجدت في الثنائي السرياني . وهذا دليل ساطع على فائدة الثنائية المعزّزة بالمقارنة الأَلسنيَّة الساميّة .

٨ — الى هنا تمّ البحث بالتقصي على احسن ما يرام . اذ أرانا التطوّر الطبيعي المنطقي ، تطوّر مفاهيم الثنائي « نَدْ » ، في اللغات السامية الاخوات ، ثم الانتقال من هذا الثنائي الى الثلاثي العربي « ندِم » . بيد ان التنافر لم يضمحل كل الاضمحلال . اذ ليس من المعقول ان يبقى هذا التضادّ الذي لمحنا اليه في بدء هذا البحث ، بين الثلاثي « ندِم » ، وبين مزيده « نادم » .

٩ — الحقيقة المتجلّية لانظارنا ، والحرية بان تزيل الصعوبة ، ذاهبةً بالتضارب الظاهر بين الثلاثي ومزيده ، هي ان هذا المزيد ليس من مادةً

الثلاثي المذكور ، ومن ثم ليس من الثنائي « نَدْ » الّا ظاهرياً . وذلك من سيء نتائج تنظيم مواد المعاجم حسب ترتيب حروف الابجدية . الحقّ ان « نادم » مقلوب عن فعل آخر ليس له علاقة بفعل « نَدِم » ، لا من حيث المبنى ، ولا من حيث المعنى ؛ ألا وهو فعل « دَامَن » . وان قيل : ان هذا الوزن لا وجود له في المعاجم ، اجبنا : إمـا انه لم يُستعمَل — لما هو مقرّر من ان المزيدات غير واردة كلها لكل ثلاثي ؛ وإما انه لم يدوّن ، لسبب كثرة استعمال «نادم» بعد ان قلب عن « دامن » . على كل حال انه ليس بخارج عن دائرة الاشتقاق ، فضلًا عن كونه مستعملًا في بعض اللهجات ، منها اللهجة العراقية المراد فيها بفعل « دامن » معنى المواظبة على العمل . زد على ذلك ان هناك وزناً يقوم مقامه ، ويكون المبالغة مثله ، وهو « أدمَن » ، الوارد في الفصحى .

١٠ — « دامن » أو « أدمن » فلان الشرب والخمر : اذا لزم شربها . يقال : يُدمِن كذا ، أي يديمه . ومدمنُ الخمر : الذي لا يقلع عن شربها . وقال الازهري : اشتقاقه من « دمن البعر » . ودونك أهمّ معاني « دَمِن ومزيداته » : دمِنت النخلة : عفنت واسودّت . دمِن فلان على فلان : ضغن مدة طويلة . دمّنت المواشي المكان : بعّرت فيه . ودمّن الرجل بابه : لزمه . أدمن الشيء : أدامه . الدمّان : الرماد ، السرقين . الدّمنة : آثار الدار ، المزبلة ، الحقد القديم ، أو الثابت الى الأَبد[1] .

١١ — في كل هذه المدلولات متضمِنة فكرة الدوام والثبات والمواظبة . وهذا ما يحملنا على ان القول بان أصل هذا الثلاثي هو الثنائي « دَمْ » الظاهر في فعل « دام » : ثبت ، استمر ، سكن . ومنه أدام الأمرَ : دوامه ، وواظب عليه . واستدام السفرُ : طال عهده[2] .

---

(١) اللسان ١٧ — ١٥ ي ؛ البستان ص ٧٩٨ .

(٢) البستان ص ٨١١ .

صفوة القول « ندم » مشتق من « نَدْ » . اما « نادَمَ » فهو مقلوب « دامَن » ، وهذا صادر من « دمَن » وأصل هذا الثلاثي الثنائي « دَمْ ودَام » الدال على الاستمرار . وهكذا تظهر الثنائية المؤيّدة والمعزّزة بالألسنية الساميَّة من أنجع الوسائل لازالة التنافر والتضاد ، واثبات وجود المنطقيّة في المعجميّة العربيّة .

غ ـ الثنائية مبطِلة الضِديّة

من آفات العربية آفة الضدّية ، اي وجود كلمات كثيرة تدل كل واحدة منها على معنيين متعاكسين ، مثل « الجون » المراد به الابيض والاسود في وقت معاً . وقد حاول كثيرون تعليل هذه الحالة وانقاص هذه المتضادات . وعندنا ان من جملة الوسائل لمحو الضدّية ردّ مادتها الثلاثية الى ثنائيّين ، يكون كل منهما اصلًا للثلاثي في احدى الدلالتين المتضادتين. وقد عقدنا لذلك فصلًا خاصاً في كتابنا « المعجميَّة العربية » سردنا فيه طائفة من الاضداد ، وابنّا كيفية ازالة الضدية منها بوسيلة الثنائية[1] . وها نحن أولاء نبسط في هذا المقال ما توصلنا اليه من محو الضدّية في طائفة أخرى من هذه الالفاظ ، وذلك خدمة للمعجميَّة العربية .

١ — « أبض : سكن . وأبض : تحرّك . بالمعنى الأول أبض صادر من الثنائي « بضْ ، في بضا وباض » : اقام في المكان وسكن . بالمعنى الثاني من أبّ الشيءَ : حرّكه .

٢ — « أبل » — ابل : رطب . وأبل : يبس . بدلالته على رطب، يشتق من « بلّ » : ندي. وبمعناه يبس من أبّ ، في الأبّ ، وهو الكلأ ،

(١) المعجمية العربية ، لمرمرجي ، ص ٢٢٩ ي ي .

٣ — « بطَل » — بطل : ذهب ضياعاً . وبطُل : كان شجاعاً الأول من « بَطْ ، بطبط : غار المآء . والثاني من « طلّ » : أشرف لانه يعلو بهمته على غيره .

٤ — « باعَ » — يدل هذا الفعل على الشرآء ، وعلى تقديم البضاعه . اصله من « بَعْ » : صبّ ، مدّ ، بسط . « باعَ يبوع » : مدَّ باعه . والباع مسافة ما بين الكفّين اذا بسطتهما . وباع الحبلَ : مدّه . وتقول « بُعْ بُعْ » اذا أمرت الرجلَ بمدّ باعه في طاعة الله .

« باع يبيع » الأصل فيه من الثنائي « بَعْ » . ويدلّ على البسطة والمدّ ، من ذلك التسليم . وكان البيع قديماً يجري بالمقايضة عيناً بعين . فكان البائع يسلّم مثلًا حنطة ، والمشتري يقدم زيتاً . فكان كلاهما بائعاً ، أي باسطاً أو مسلماً . ولهذا جآء باع بمعنى البيع والشرآء . وبهذا تُفسّر الكلمة المستعملة في اللهجة العراقية « بَاوَع » بمعنى نظر ، الغريبة ظاهرياً عن لفظة باع . لكن الأصل واحد وهو الامتداد . وما النظر سوى مدّ البصر الى الشيء المراد رؤيته .

٥ — « زَحَك » — زحك البعير : أعيا . وزحك في المكان : أقام وزحك منه : دنا . وزحك عنه : تنحّى . « زحك » : أعيا ، مشتق من « زكّ ، زكزك » : مرَّ الشيخ يقارب خطوه ضعفاً . وزُكّ الرجل ، مجهولاً : ضعف من مرض ، هرم . و « زحك » بالمعاني الأُخر ، صادر عن « زحّ » الدال على الحركة . وبواسطة حرف الجر يتخصص إمّا بالحركة عن الشيء وهو الابتعاد والتنحي ، وإمّا بالحركة الى الشيء ، وهو الاقتراب والدنو . واذا استمر الدنو نتج منه الاقامة في المكان .

٦ — « سبَد » سَبَد الشَعر : حلقه . وسبد شاربُه : طال حتى سـ على الشفة . سبّد الرجلُ شعرَه : استأصله . وسبّد الرجلُ : بدا رأسه ، بعد ان حلقه . سبَد ، بمعنى حلق واستأصل ، صادر عن الـ

« سبّ » الشيء : قطعه . وسبّد ، بدلالة نبت وطال ، آت من الثنائي « سدى » : طال وامتد .

٧ — « سجد » — سجد : خضع وانحنى . وسجد : انتصب . سجد ، بالمعنى الأول ، مشتق من « سجّ » : رمى . وبالمعني الثاني ، من « سدّ » ، لان ما يسدّ شيئاً يرتفع فوقه ، فكأنه منتصب .

٨ — « سدف » — سدف الستر : ارخاه وارسله . اسدف الفجر : اضاء . اسدف الليل : أظلم . السدف والسدفة : الضوء . السدف والسدفة : الظلمة .

أصل هذا الثلاثي من الثنائي « سد » في سدى : مدّ ، بسط . فيكون السدف اسدال أو بسط الستار . والستار ستاران : ستار الظلام في الليل ، وستار النور في النهار . السُدْفة : اختلاط الضوء والظلمة معاً . وهذا يحدث مساء حين يُقبل الظلام وهناك شيء من النور ؛ وعند الفجر ، لما يُقبل النور وهناك بعد بعضُ الظلام .

٩ — « سجر » — سجر الماء النهر : ملأه . وسجر الرجلُ الماء في حلقه : صبّه . المسجور : الذي سال فيه الماء فملأه ، فهو الممتلئ . والمسجور : الذي سال منه الماء فافرغه ، فهو الفارغ .

أصل « سجر » هو الثنائي « سجّ » : رمى ، ألقى ، صبّ . « اذا البحار سُجِّرت » اي فرغ بعضها من بعض . يعني اذا امتلأ الواحد فرغ الآخر . واملاء إناء من اناء آخر يتطلّب افراغ الثاني كنتيجة سلبية . وفي كلا العملين يجري السجّ أو الصبّ .

١٠ — « سرّ » — سرّ : كتم . وسرّ : أعلن . أسرّ السرّ : كتمه . وأسرّ السرّ : اظهره . أصل السِرّ من السَرَر اي القطع . والشيء المكتوم ، اعني السِرّ ، هو ما يُقطَع عن الغير فيبقى خفيًّا ، اي يسير او يسري الى الداخل . وأسرّ ، بمعنى أظهر ، صادر عن ذلك ايضاً ، لكن

بطريقة معاكسة . لان الظاهر يكون خفياً ، فيُقطَع عن الداخل فيسير أو يسري الى الخارج ، فيعتلن .

١١ — « صرَم » — صرَم : قطع . والصريم : الصبح . والصريم: الليل او قطعة منه . « صرَمَ » ناشىء عن الثنائي « صَر أو صرَى » قطع . وسُمّي الليل والصبح صريماً ، لان الصبح يُصرَم من الليل ، والليل يُصرَم من النهار .

١٢ — « عطل » — عطَل : فرغ ، خلا (من الحلي أو غيره) . العُطل من الرجال : الخالي من المال والادب . امرأةٌ عطلاء : لا حلي عليها . العَطَل : الخلو من الحلي . والعَطِل : الشخص . القوام العطَل : الحسن الجسم . امرأة عطِلَة : حسنة الجسم .

« عطَل » ، بمعنى فرغ ، آتٍ من الثنائي « عَطْ » : شقّ ؛ أو من « عطًا » السريانية . الشخص ودلالته : غطاً ، محا ، أبعد ، أهلك ، أباد . و « عَطَل » ، بمعنى الجسم الحسن ، أو الشخص ، صادر من « طَلْ وطَلَل » ، وهو الشاخص من آثار الدار ، والمكان العالي ، وشخص كل شيء . والطَل : الحسن . وامرأة طَلَّة : حسنة .

١٣ — «عنَد» — عنَد عن الطريق والقصد : مال وعدَل . أعند فلاناً : عارضه بالخلاف . واعند فلاناً : عارضه بالوفاق .

« عنَد » مشتق من الثنائي « عَنْ » : اعترض لفلان من يمين أو شمال . وعَنّ له : ظهر امامه . وعنّ عن الشيء : اعرض عنه وارتد .

١٤ — « غضَا » — غضا الليل : اظلم . وأغضى الليل : ألبس ظلامه كل شيء . « الغاضية » : المظلمة من الليالي . « والغاضية » : المضيئة من النيران . قال الأزهري : ليلة غاضية : شديدة الظلمة . والغاضية العظيمة من النيران . قال الازهري : أُخذت من نار الغضى ، وهو أجود الوقود .

وفي المصباح : الغضى : شجر ، وخشبه أصلب الخشب . ولهذا يكون في فحمه صلابة ».

قلتُ : في « غَضّ ، وغاض ، وغضى » معنى شامل ، وهو الكسر ، والنزول ، والإطباق ، والالباس ، والشمل . وهذا من خاصّية الظلام ليلًا ، اي انه يسدل ستاره ويغطّي كل شيء . ويسوغ تطبيق هذا المدلول على النور ايضاً ، لانه يشمل كل شيء نهاراً . والّا فيجوز الاستناد الى تعليل الازهري في فحوى « نار غاضية » أي منسوبة الى الغضى ، كما سبق أعلاه.

١٥ — « غَمَد » — غمَد الشيءَ : ستره وغطّاه . غَمَدت الركيّة : ذهب ماؤها . تغمّد الاناءَ : ملأه . تغمّد اللهُ فلاناً برحمته : غمره بها . الغامد والغامدة : السفينة المشحونة . الغامدة : البئر التي غُطّي ماؤها بالتراب . الغمد : جفن السيف الذي يستره .

أصل الثلاثي هو الثنائي « غَمّ » ومعناه : علا ، غطّى ، ستر ، بهرَ . لان الماء الغائر في الارض يستتر . والماء الكثير الذي يملأ البئر أو غيرها هو الذي يغمرها ، اي يسترها .

١٦ — « فزع » — فزع : ارتاع : وفزع : اغاث غيره . الأول من « فزّ » تحرّك واضطرب . والثاني ايضاً من « فزّ » . لان الاغاثة تحرّك للمساعدة . أو يجوز اشتقاقه من « زَع ، زعزع » : حرّك بشدّة . المُفزَّع : الجبان . والمفزّع : الشجاع . الأول من « فزّ » اضطرب . لان الجبان يخاف فيضطرب . والثاني أيضاً من « فزّ » اي تحرّك . لان الشجاع هو الذي يُفزَع اليه ، أو يستغاث به ، للثقة ببسالته .

١٧ — « فغم » — فغم الطبيبُ فلاناً : سدّ خياشيمه . ريحٌ تفغم الخياشيم : تملؤها . وفغم السدّة : فتحها . وفغم الورد : تفتح .

«افعَم» ، بمعناه الاول ، مشتق من الثنائي «غمّ» : غطّى ، سدّ ، ألقم . وبدلالته الثانية ، من «فغ» : فاح . يقال : فغّتني الرائحة : فاحت علي .

١٨ — «قوي» — قوي : كان غير ضعيف ، طاق . وقوِي : خلا؛ وقوي : جاع شديداً . أقوت الدار : خلت من سكانها ؛ اقوى القوم : فني زادهم . أقوى زيدٌ : افتقر . وأقوى : اغتنى .

يظهر الثنائي الأَصل في الاكّدية ، في كلمة « Qu » ، ومعناها الحبل . وفي العربية «القوة» : كل طاقة من طاقات الحبل المفتول . وكذلك في السريانية «Qawyâ» . والقوة تأتي بمعنى القدرة والشدّة . وبفعل القوة المادية أو المعنويّة تحصل الكثرة والمال والغنى .

«قوي» : خلا ، جاع ، كان بلا زاد ، ومن ثم افتقر ، مصدره الثنائي «قي» في قاء يقيء ، الدال على القاء الطعام من الفم ، أو افراغ المعدة ؛ ومنه الجوع ، مما يتطلّب جهداً ، وينتج عنه الخلاء . ومن باب التقييد ، الخلاء من السكان ، أو الخلاء من الزاد والمال ، مما يحصل عنه الفقر .

١٩ — «قشع» — قشع القومَ : فرّقهم . قشَع الشيء : جفّ ويبس . القَشِع : الرجل المتقشّع لحمه كبراً . والقَشع : الجلد اليابس . قشَع : يبُس ، صادر عن «قشّ» النبات : جف ويبس . وقشع : فرّق ، ناشيء عن «شعْ» : فرق ، انتشر .

٢٠ — «قعد» — قعد : رمى بنفسه على القاع ؛ أو كان واقفاً او قائماً فوقع على القاع ؛ أو كان مضطجعاً فانتصب ، وهو باقٍ على القاع .

هذا الثلاثي مشتق من «قعْ» في وقع . يقال للقائم : أقعد ؛ وللنائم : إجلس . وقعد : قام ، هنا بمعنى الثبوت والاستقرار . من ذلك أقعد

فلاناً : اقامه وجعله قاعداً . وقعدت الفسيلة : صار لها ساق ، وثبتت في القاع. القُعْدُد : الجبان اللئيم ، لقعوده عن الحرب . القُعْدُد : القريب النسب من الجد الاكبر . قعد منه : اقترب منه . القُعدُد : البعيد النسب عن الجد الاكبر . قعد عنه : ابتعد عنه .

٢١ — « قلص » — قلص : قصر ، قل ، ضوى . وقلص : جمّ ، كثر ، ارتفع ، قلّ ، كان خفيفاً . — هذا الفعل ، بمعناه الأول ، مشتق من الثنائي « قص » : قطع . وبالفحوى الثاني ، من « قل » : خفّ ، ومن ثمّ : علا .

٢٢ — « لَطَع » — لطع : محا . ولطع : أثبت . في الحال الأول ، هو آتٍ من « طَع » : لحسَ . وفي الثاني ، من « لَطْ » : ألصق.

٢٣ — « نصب » نصب — : رفع. ونصب : وضع. الأول من « نَبْ ونبا » النبو والنبوة : المرتفع من الارض . نبأ : ارتفع . أو صادر من « نَصْ » : ارتفع . بالمعنى الثاني ، هو آتٍ من « صَبْ » : كبّ ، وضع بالانزال .

٢٤ — « أنصَت » — أنصت : سكت . أنصت : أسكت غيره . كلاهما من « صَتْ » : فغّ ، منع ، صدّ . ليس هناك من ضِدّية. لانه في الاول تُمنع النفس من الكلام. وفي الثاني يُصدّ الغير عن التكلم.

٢٥ — « هجد » — نام . وهجد : سهر . الأول من « هَدْ ، هدأ » سكن . والثاني من « جدّ » اي جهد ، لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم .

٢٦ — « هلَب » — هلَب : نتف . وهلَب : كثر شعره . وهلب : بَلّ بالندى . الاول من « هَبْ » : قطع. الثاني من « لبْ » : تراكب ،

تلبّد . الثالث من « هلْ » : مطر . الهَلوب : المرأة المتدانية من بعلها . من « لبْ » لازم . الهلُوب : المرأة المتقاصية عن بعلها . من « هبْ » قطع . الأهلب : الذي لا شعر عليه . من « هبْ » : قطع . الأهلب : الغزير الشعر . من « لبْ » : تلبّد ، تجمّع .

٢٧ — « همَد » — همدت النار : طفئت وخمدت . همدت اصواتهم : سكنت . اهمد القوم في المكان : أقاموا . همَد القومُ : ماتوا . مصدر « همد » ، بهذه الفحاوي ، الثنائي « هَدْ ، هدأ » سكن ، قرّ . همد شجر الارض : بلي وذهب . وهمد الثوب : تقطّع . من « هَدْ » : هدم . أهمد فلان في السير : أسرع . من الثنائي « مَدّ » : سال .

٢٨ — وثَب » — وثب : استوى قائماً . وثب : قعد . كلاهما من « ثب » : تحرّك . فالتحرك من الوقوف الى القعود : وثب . والتحرك من القعود الى القيام : وثب .

٢٩ — « شمل » — شمل : غطّى ، عمّ ، غمر . الشَمل : مجتمع العدد وتمامه . الشَمل : ما تفرّق من الأمر . والشَمل : ما اجتمع منه . يقال فرّق الله شملهم ، أي شتّت ما اجتمع من امرهم . وجمع الله شملهم ، أي لمّ ما تشتّت من امرهم . اصل الثنائي « شَمْ » ارتفع اعلاه . و« شما » : سما وعلا امره . فما يغطي ويعم ويغمر هو الذي يعلو ويرتفع على غيره ، كما تشمل الشملة البدن . والشملة كساء مخمل يُشتمل به . الشَمل : ما يشمل العدد والأمر ، اي يعمّه فيكمّله . ولذا امكن ان يقال : جمع الله شملَهم ، اي عددهم الشامل . وفرّق الله شملَهم : اي مجتمع عددهم .

٣٠ — « غبر » — غبر : ذهب وولّى . وغبر : مكث وبقي . الأول من « غبْ وغاب » : بَعُد ، بان . والثاني من « غرّ » : صبّ . لان الماء ، مثلاً ، اذا صُبّ في اناء بقي فيه .

٣١ — « بيَّض » — بيَّض الاناء والسقاء : ملأه . وبيّضه : فرّغه، الأصل الثنائي : « بَض » ، بمعنى سال . اذ لِملْ القربة أو الاناء يقتضي إسالة الماء، او السائل فيها. ولتفريغها، يلزم إسالة الماء، او السائل منها.

٣٢ — « مَثُل » — الماثل : المنتصب . تماثل المريض : انتصب وتحسّن. والماثل : الذاهب . « مثل » : ذهب ، غاب ، صادر عن « مثْ » : سال، رشحَ . و « مَثُل » : انتصب ، من « مَتمَت » حرّك .

٣٣ — « غرض » — غَرض الإناء : ملأه . وغرضه : نقصه عن الملْ . الاول من « غرّ » أدخل . والثاني من « غض » . غض وغضغض الماء وغيره : نقصه .

٣٤ — « الضَمد » — الضمد : الرطب . والضَمد : اليبس . الضَمْد : خيار الغنم . والضمد : رذالها . الضَمد ، بمعنى الرطب ، مشتق من « مَدّ » ، لان الرطوبة تبلّ وتليّن . وبدلالة خيار الغنم ، من « مَدّ » ايضاً . لان هذه الخرفان الحسنة هي الثمينة الممتدة الاعضاء . « الضَمد » المراد به اليبس صادر عن « ضم » لان اليابس تتضامّ ذراته وتتقاًص . وكذلك « الضَمد » المطلق على رذال الغنم . لان مثل هذه الضأن تكون ضامرة متقلصة الاعضاء لا لحم فيها .

٣٥ — « حَشحَش » — حشحشوا : تحركوا للنهوض . حشحشوا وتحشحشوا : تفرقوا . الحشحشة : دخول القوم بعضهم في بعض . التوفيق بين الضدّين سائغ بدليل ان « حَشّ » يراد به الحركة . وهذه الفكرة عينها داخلة في التجمّع والتداخل ، لان في ذلك حركة ايضاً .

٣٦ — « ذرب » — ذرَبت معدته : فسدت . ذربت معدته : صلُحت . بالمعنى الاول ، « ذرب » صادر من « ذَبّ » : هزل ، ذوي ، جفّ من العطش ؛ ممّا يحصل عنه الفساد والمرض . وبالمدلول الثاني ، هذا الفعل آتٍ

من « ذرّ » البقلُ والنبات ، اذا طلع وانتشر ، وذلك لقوّته وصحته ، والّا ذَبُل وذوى .

٣٧ — « رتا » — رتا : رمى ، أرخى . ورتا : شدّ ، قوي . الرتوة : العقدة الشديدة . والرتوة : العقدة المسترخية . « رتا » ، بمعنى الشدة ، من « رَتْ » كان في لسانه عقدة . والرتّ : الشديد الجرئ من ذكور الخنازير . و « رتا » ، بمعنى الارتخاء ، آت من « رَت » ومفخّمه « رَطْ » في « راط » في السريانية ، الدال على الاهتزاز ، ومن ثم على التراخي .

٣٨ — « خفا » — خفا : لمع . وخفا : ظهر . خفى الشيء : كتمه . وخفى الشيء : استخرجه واظهره . « خفا » آتٍ من « خَف » أسرع في المشي . وفيه حركة . والحركة في اللمعان ، وفي الظهور ، وفي الخروج والاستخراج . وخفي : استتر وتوارى ، صادر عن « خف » : تحرك . دليله : كما ان الظهور هو حركة بالبروز من الداخل الى الخارج ، كذلك الاختفاء أو الاستتار والتواري متضمّن حركة ، حركة الولوج من الخارج الى الداخل .

٣٩ — « الجون » — الجون : اللون الابيض ؛ و— اللون الاسود . في نظرنا ان هذه الكلمة هي من السريانية Gawna ومعناها : اللون من باب الاطلاق . فنقلت الى العربية ، بطريق التقييد ؛ فجاءت عند قبيلٍ بدلالة اللون الابيض ، وعند فريق بفحوى اللون الاسود .

ف ـ الثنائي أصل الثلاثي والرباعي

المألوف بين جمهرة الصرفيين قسمة الافعال ، من حيث عدد حروفها، الى مجردة ومزيدة ، وجعل المجردة منها نوعين : ثلاثياً ورباعياً ، ثم اشتقاق المزيدات من المجرّدات ، باضافة حرف أو حرفين أو ثلاثة من طائفة من الحروف معلومة سمّيت لذلك حروف الزيادة . وقد جمعت في كلمة « سالتمونيها »

على ان هناك من يرتئي إمكان رد الرباعي المجرّد الى ثلاثي ، وذلك بحذف حرف من أحرفه دون قيد، بشرط بقاء اللحمة المعنوية بينهما، مما ينجم عنه ان المجرّد الرباعي لا وجود له ، انما هو ثلاثي مزيد فيه .

أما نحن الثنائيين ، فلا نقف عند هذا الحد ، بل نذهب الى ما هو أبعد — مما لم يجسر على القول به المحافظون على القديم — وهو ان الثلاثي المعاد اليه الرباعي قابل الرد هو ذاته الى ثنائي ، مع استمرار الصلة المعنوية بين الثلاثة ، حسب روح الاشتقاق اللغوي .

هذا وقد وجدنا في احد اعداد مجلة « المقتطف » المصرية (يونيو ١٩٤٠ ، ص ٧٩ ي ي) مقالا محاولاً فيه اثبات ما سبق من قابلية ارجاع الرباعي الى ثلاثي ، مع ادعاء تعذّر اعادة الثلاثي الى ثنائي ، او بعبارة أخرى : ان الثلاثية وحدها مبدأ الاشتقاق ، وليس الثنائية قطعاً . وقد حوى المقال نحو ستين مادة رباعية سُعي في ردها الى مادة ثلاثية ، دون تعدّي هذا الطور . اما نحن ، فقد اثبتنا — في سائر ابحاثنا السابقة في المجلات ، وفي كتابنا « المعجمية العربية » كما نبيّن ذلك في سفرنا هذا الحاضر — ان الثنائية هي الاصل ، وما البقيّة سوى فروع ، أو مشتقات منها . ففي هذا البحث نتناول هذه الامثلة الواردة في « المقتطف » لنبرهن بنوع محسوس ، لمخالفي مذهبنا ، ولمحبّي هذه التقصيات اللغوية . ان هذه

الثلاثيات المردودة اليها الرباعيات المذكورة ، في مستطاعنا ارجاعها هي نفسها الى ثنائيات . وقد حذفنا ، حباً بالايجاز ، من المواد المسرودة في « المقتطف » الثنائيات المكررة ، من قبيل رفرف ، وزفزف ، لوضوح صدورها عن الثنائيات المجردة .

***

« إشمأزّ » من شمأز : نفر منه كراهة وانقبض . وهو من الثلاثي « شمَز » . ومنه شمزت نفسه من الشيء : عافته وتقززت منه لكراهته . ومنه تشمّز وجهه : تقبّض . اي غيّر وجهه او قطّبه غيظاً .

لكن هذا الثلاثي « شمَز » صادر عن الثنائي « مَز » . ومنه المزّ من الرمان : ما كان طعمه بين حموضة وحلاوة . والمزازة طعم بين حلاوة وحموضه . والمزّة : الخمر فيها حموضة . والحموضة في الخمر والتمر تبعث الى تغيّر في الوجه وتقطيب في الجبين . والصلة المعنوية ظاهرة بين الثنائي والثلاثي ، كما بين الثلاثي والرباعي .

« دحرج » : اداره على نفسه متتابعاً في حدود . اشتق من « دحر » الدال على الدفع والابعاد . أما « دَحر » فآت من « دح ودحا » بمعنى : دفع وبسط .

« افرنقع » : تفرق . من « فرقع » : فرّق . وهذا صادر من « فرق » . وفرق مشتق من الثنائي « فق » : انفرج .

« قرطب » الجزور : قطع عظامها . من « قرط » . وهذا من الثنائي « قط » . وفي جميعها معنى القطع .

« قرضم » من « قرض » . وهذا الثلاثي من « قض » . وفي كلها دلالة الكسر والقطع .

« قرضب » : قطع ، فرّق . من « قضب » : صرم . وهو من الثنائي « قض » .

« برقش » : خلط الكلام ، اختلف لونه ؛ و— الشيء : نقشه بالوان شتى . من « رقش » : نقش ، زيّن ، زخرف ، زوّر . وهو من الثنائي

«رقّ» : لطف ، حسن .

«بعزَق» : فرّق . صادر من «عزّق» فلانٌ الارض : شقها وكربها . وهو آتٍ من «عق» الثوب : شقّه .

«زعبَق» القوم : فرّقهم . من «زعب» الشيء : قطعه . وهذا الثلاثي من الثنائي «زَع» الظاهر في «زعزَع ، زعا ، زاع» : قطع .

«إشمَعلّ» : جدّ الرجل في المضيّ . وهو من «مَعَل» : أسرع في سيره . وهذا من «مَعّ» في «معمَع» : عمل في عجل .

«جندل» : صرعه على الارض . من «جدل» : رماه على الجدالة ، وهي الارض الصلبة . وجدل الثلاثي مشتق من الثنائي «جدّ» : اشتدّ .

«تحذلَق» : تطرّف وتكيّس ، مثل «حذلَق» : اظهر الحذق . وهو من «حذِق» : مهر في الأمر واتقنه ، اي عرف كيفية القطع فيه . وحذق من الثنائي «حذ وحذا» : قطع .

«خَتلَع» : برز او خرج الى البدو . وهو من «خَتَع» : ذهب وانطلق . والثلاثي من الثنائي «تعْ» : استرخى اي امتد ، أو من «تعا» : عدا ، أو من «تاع» : سال وانبسط على وجه الارض ، ذهب الى المكان وغيره ، أو من «تَعتَع» : حرّك بعنف ، أقبل به وأدبر . وفي كلها معنى الحركة والامتداد والذهاب[1] .

«إبذَعرّ» الناس : تفرقوا وفرّوا . من «بَذعر» الصادر من «بَذَر» الحب : القاه في الارض متفرقاً . وبذَر الله الخلق في الارض : فرّقهم . و«بذَر» مشتق من «ذَرّ» الحبّ : فرّقه ونثره .

«احرنجم» القوم : اجتمع بعضهم الى بعضهم . من «جَرجَم» الإبلَ : ردّ بعضها الى بعض . وفي مقال «المقتطف» يُرَدّ هذا الرباعي

(١) هناك من اللغويين ، كالاستاذ البحاثة اسماعيل مظهر ، من يرد هذا الفعل وامثاله الى فعلين ؛ تبعاً لنظرية النحت . على اننا لا نميل الى القول بان العربية لغة نحتية . اذ الدلائل جمة ومتضافرة على كونها اشتقاقية بطريق الزيادة من الثنائي الى الثلاثي والرباعي وغيره .

الى الثلاثي « حرج » بمعنى ضاق . لكن لا لحمة معنوية ملائمة بين الاثنين. فالأولى في نظرنا رده الى « رجم » بمعنى كوّم الحجارة . ومنه الرجمة : حجارة تنصب على القبر . ورجم الثلاثي صادر عن « رَجم » ، الثنائي ودلالته : كثر واجتمع .

« هيهبِ » : أسرع . من « هَبْ » : أسرع ونشط .

« هَمرَجَ عليه الخبر : خلطه عليه . ومنه « الهَمْرَجة » التخليط ولغط الناس . من « هرج » الحديث : خلّط فيه . وهرّج في الحديث : مزَج وأتى ما يضحك منه . وهو من « هج » ، وهَجهَج » الفحل في هديره : صاح شديداً . وهجهَج بالبعير : صاح به وزجره ليكفّ . وهجّت النار : اتقدت وسُمِع استعارها . وهَجْ : زجر للكلب .

« هَردَب » : عدا عدواً ثقيلاً . من « هرَب » : فرّ . وهو من « هَبّ » السائر من الانسان والحيوان : نشط وأسرع .

« اهرَنمع » أسرع في مشيه . من « هرَع » : مشى مضطرباً مسرعاً. وهرع صادر من « رع » ، رَعرَع » الماء الصافي : اضطرب على وجه الارض. وترعرع الصبي : تحرّك . وترَعرعت السنّ : قلقت وتحركت .

« تمنطَقَ » أظهر علمه بالمنطق . لكن « تمنطق » له معنى آخر بعيد عن هذا ، وهو : لبس المنطقه ، وهي الحياصة ، أو النطاق . كما يقال ايضاً « تنطّق » : شدّ وسطه بمنطقة . ونطّقه : ألبسه المنطقة . فعلى رأينا ان « نطَق » الدال على التكلم في الخارج ، وعلى الادراك في الداخل ، صادر من الثنائي « نط » : هذر . وأما « نطَق » المشتق منه « نطّق وانتطق والمنطقة وتمنطق » الدال على الوسط والشِقة التي يشدّ بها الوسط ، فهو ناشيء عن « طَق » في « طاق » ، ومنه « الطوق » ، وهو كل ما استدار بشيء . وطائق كل شيء : ما استدار به من جبل أو أكمة . و « الطاق » : ما عُطف من الابنية اي جُعِل كالقوس من قنطرة ونافذه وما اشبه . ومنه : تطوّقت المرأة « لبست الطوق » وهو حلي للعنق يحيط به .

« تململ » — من « ململه المرضُ » : جعله يتململ ، اي يتقلّب على فراشه . و « ململ » : من « ملّ » : تقلّب مرضاً او غمّاً .

« بذرق » : المال : بدّده . من « بذر » : فرّق . وهو من « ذرّ » : نشر ، فرّق .

« اقشعرّ » — من « قشعر » ، ومنه « القُشَعْرِيرَة » : ارتعد جلدُه ، وقفّ وتقبّض . وهو من « شعِر » : كثر شعره . والثلاثي من الثنائي « شعْ » : انتشر . لان من خاصة الجلد الشعاع او التقبض :

« عرقل » الكلام : عوّجه . من « عقل » : ربط ، شدّ . وهو من « عق » : عصا . وفيه معنى القوة والشدة .

« تشدق » من « شدق » ومنه « تشدّق » : تفاصح . وشدق مشتق من « شق » . لان الشدقين هما طرفا الفم ، اي شقّاه .

« هذرم » النائم : اكثر الكلام وخلط فيه . من « هذر » : خلط وتكلّم بما لا ينبغي . وهو من « هذ وهذى » : تكلّم بغير معقول ، لمرضٍ أو غيره .

« دملج » الشيء : اذا سوّى صيغته ، كما يُصاغ الدملج ، وهو حلي يلبس في المعصم . من « دمج » : دخل في الشيء واستحكم فيه . والثلاثي من الثنائي « دجّ » : اظلم ، اي تداخل ظلامه بعضه في بعض .

« دملك » الشيء : ملّسه . من « دمك » الشيء : املسه . وهو من « دم » طلى .

« قرفص » : جمع وشدّ يديه تحت رجليه . ومنه : جلس القرفصاء . من « قفص » الشيء : جمعه وقرّب بعضه الى بعض . وقفص ناشىء من « قفّ » الشيء : انضم بعضه الى بعض .

« اشمخرّ » : ارتفع ارتفاعاً كبيراً . من « شمخر » تكبّر . وهو من « شمخ » : ارتفع كثيراً . وشمخ الثلاثي صادر عن « شمّ » ارتفع وتكبر ، او عن « شما » : علا أمره .

« تمسكن » : صار مسكيناً ، اي فقيراً شديد الاحتياج . من « سكن » اي قرّ . لأن الفقر يقلل حركة المعوز ويذله . وسكن مشتق من الثنائي « كنّ » وفيه « كان » : وجد . ويؤيد ذلك فعل Kûn العبري ، ومعناه : ثبت ، قرّ . وبهذه المعناة جاء الفعل الاكدي : Kûn .

« هدمل » الرجل : خرّق ثيابه . من « هدم » الثوب : رقعه . والهدم والهدمة : الثوب الخلق المرقّع . وهو من « هدّ » الرجل : هرم .

« هرجل » : اختلط مشيه . من « هرج » الفرس : جرى واسرع في عدوه . وهرج من « هجّ » : اتقدت النار . والاتقاد حركة سريعة .

«هزمل» الرجل : افتقر . وهو من « هزل » ، وهذا من « هزّ » : ذلّل .

« إزلغبّ » الفرخ : طلع ريشه . و— الشعر . نبت بعد حلقه . من « زغب » الفرخ : نبت زغبه ، وهو ناعم الريش . وزغب آتٍ من « زبّ » : كان أزبّ . والأزب : ذو الزبب . والزبب مثل الزغب : صغار الريش .

« زحلف » : دحرج من « زحف » مشى . وهو من « زحّ » : نحى .

« طغمش » : كان في بصره ضعف . الافضل ان هذا الفعل صادر ليس من « طغش » ، كما ورد في مقال « المقتطف » بل من « طمس » (بالسين عوض الشين) البصر : ذهب ضوؤه . وهو من « طمّ » غمر .

« فرتك » الشيء : قطعه . من « فرت » (لا من فرك ، كما في المقال المذكور) : فجر ، بجس . وفرت من « فت » : كسر .

« فرشخ » فتح ما بين رجليه . من « فرش » : بسط . وهو من « فش » : امتد الريح .

الخلاصة : استبان جلياً ان الرباعي المجرد إن هو الّا ثلاثي مزيد . لكن تجلى بوضوح ايضاً ان الثلاثي المجرد ليس هو سوى ثنائي مزيد فيه . وهذه كلها أدلة ساطعة على ان الثنائية — ولا الثلاثية أو الرباعية — هي مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية ، كما في اخواتها السامية ، لا بل كما في سائر لغات المعمور .

خاتمة

هذه هي الامثلة التي سردنا اصولها الثلاثية ومشتقاتها وتطورات معانيها كما هي في المعاجم القديمة والحديثة ، الامهات والبنات ، فظهرت متضاربة، متنافرة ، متناقضة ، اعني خالية من التناسق المنطقي . ثم أعدنا عرضها بدأ من الاصول الثنائية ، مع الاستعانة بالألسنيّة ، اي المقارنه باخواتها الساميّة، وحسب التسلسل والتساوق المعقول المقبول ، فتجلّت فيها المنطقية التامة بكل سطوع .

فالآن وقد نجمت هذه النتيجة المرضية عن عملنا ، يخلق بنا ان نجيب عن السؤال الذي عنونّا به هذا المصنّف « هل العربية منطقية ؟ » فنقول : طبقاً لحالة المعجمية الثلاثية الحالية ، تظهر العربية غير منظّمة ، غير معقولة، اي غير منطقية . لكن تبعاً لاصول النظرية الثنائية والألسنيّة الساميّة ، تتراءى العربية للابصار والبصائر متناسقة ، منسجمة ، معقولة ، اي في غاية المنطقية . هذا فضلًا عما يتبيّن فيها من الغنى في الاصول والمشتقات وهي بازآء اخواتها الساميّات الاخريات . كل ذلك فخر لها عظيم ، ونصر مبين، بهذا الفتح الجديد .

واذا كان الأمر كذلك ، أفليس من المناسب، لا بل من المتحتم تلافي خلل المعجمية الحالية ، واعادة بنائها على أس حديث متين ، أسّ الثنائية ، لتبرز اللغة الكريمة بحلتها الحقيقية القشيبة ؟ هذا ما يجدر بكل ابن بَرّ بلغته العزيزة ان ينعم النظر فيه ، ولاسيما اذا كان من اهل الاختصاص في اللغويات والألسنيّات ، ومن اعضاء المعاهد والمجامع والندوات العلميّة ، الواجب عليهم التوسل بكل الوسائل الفعّالة لترقية لسانهم القومي ، والسير به في سبيل الفلاح .

ان واضع هذا السفر ، وسابقه سفر « المعجمية العربية » لموقن حق اليقين بصوابيّة وفاعليّة الثنائية والألسنية . واللغويون والألسنيون ذوو العلم الراسخ والنظر الثاقب لا يتمالكون من اداء الشهادة للفوائد الجمة الناجمة عن هذه النظرية وهذه الطريقة في البحث .

ولذا نرى من الملائم ان ننقل ، مسكاً للختام ، بعض مقتضبات من الشهادات المتعدّدة التي تفضل فبعث بها الينا كثيرون من علماء بلادنا الأجلاء ، دلالة على تقديرهم لهذه المبادئ وهذه الاساليب ، وتصديقهم ما وراءها من المنافع اللغوية

كلمة سعادة العلامة المرحوم محمد توفيق رفعت باشا

رئيس مجمع فؤاد الاول للغة العربية

« سرّني من كتابك ما حواه من تمحيص وتحقيق يتجلّى اثرهما في تأصيل الكلمات والرجوع بها الى اعرق مراجعها ، وازكى منابتها ، وتوثيق الاواصر بينها وبين شقيقاتها من اللغات الساميّة . هذا الى نهجك الواضح في في عرض المعاني المختلفة للاصل الواحد في تلك اللغات الشقيقات ، وارجاع هذه المعاني — على كثرة تشعّبها وبُعد ما بين شُعَبها — الى أصل واحد ، وتفرع تلك المعاني بعضها عن بعض تفرعاً متصل الحلقات ، ومحكم الروابط ، وردّ ما بدا نفوره عن الأصل الثلاثي الى اصله الثنائي ؛ مما جعل معاني اللغة العربية الشريفة موصولة الرحم ، بادية الانسجام . أما جهدك في بيان الفائدة من جعل الثنائية مرجعاً للالفاظ ، وان ذلك مفتاح لمغاليق كثيرة ، وانه من جملة الوسائل لابطال الضدّية ، فهو جهد مشكور . وارجو ان يوفقك الله الى الاستمرار في العمل لتمهيد هذه السبيل المهجورة وتعبيدها للسائرين ».

كلمة صاحب المعالي الاستاذ العلامة المقدام عبد العزيز فهمي باشا

احد أعضاء مجمع فؤاد الاول للغة العربية . وهو صاحب الاقتراح الشهير، اقتراح كتابة العربية بالابجدية الصائتة . وقد دوّن فكرته في سفر قيّم يُعد آيةً من آيات البلاغة، ومثالاً يحتذى في عرض القضيّة عرضاً منطقياً . قال ادامه الله فخراً وسنداً للعربية :

« واذا كنتُ قد اشرت في كتابي الذي شرّفتموه بالقراءة الى ما انتم قائمون به من البحث في أصول الفاظ لغتنا العربية ، أثلاثية هي ، كما عليه الجمهور ، أم ثنائيّة ، كما اهتديتم اليه في ابحاثكم القيمة ، فان مبعث تلك الاشارة هو اعجابي بعلمكم واطمئناني الى ان العربية واجدة في أهلها من يغارون عليها ، ويسعون في ترسيخ قدمها ، واحياء نبتها الذي كاد يأتي عليه الذبول . فاكرّر لكم اعجابي واطمئناني . وارجو الله ان يكثر في ابناء العربية من امثالكم البارّين بها ... »

•

كلمة صاحب الفضيلة العلامة اللغوي المدقق الشيخ عبد القادر المغربي

نائب رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق

« لقد استفدت من كتابكم فائدة عظمى . وآمنت بمبدئكم في « الثنائية والالسنيّة الساميّة » ايماناً تقليدياً ، لا ايمان اقتناع بالطبع ، لجهلي باللغات الساميّة . لكن آنست فيكم تخصصاً وتبحراً في تلك العلوم . فلم اتمالك من التصديق والايمان . ولاسيما ان بحوثكم هذه لا تنافي قداسة لغتنا العربية ، ولا تحط من قيمتها وكرامتها . فانها في اعتقادي ليست موحاةً من السماء . وانما هي مشتقة كاخواتها من لغة قديمة هي اللغة الساميّة . وسرّني ان نزلتم في ميدان هذا البحث ، ولم تدعوا الأب انستاس يصول

فيه وحده ، بل أصبح – والحمد لله – له فيه قرن يجاريه في خدمة لغتنا من حيث علاقاتها باللغات القديمة ..»

كلمة حضرة العلامة الدكتور فيليب حتي

رئيس فرع اللغات الشرقية في جامعة برنستون في اميركة وصاحب «تاريخ العرب» البديع ، في الانكليزية والعربية ؛ ومن ارباب الاختصاص والمبرزين في الالسنية السامية

« ابني المحترم مرمرجي . كنت فيما مضى كلما اطلعت على مقال من مقالاتكم اللغوية والعلمية في احدى المجلات العربية ، تحدثني النفس بالكتابة اليكم لاعرب عن ابتهاجي بها وقدري اياها قدرها . ولاسيما وانتم تكتبون لقرآء لا يميز جلهم بين الكتابة العلمية والكتابة العلمية الكاذبة . . ولكني الآن وقد فرغت من تلاوة مقالكم في « مجلة المجمع العلمي العربي » فلا أريد ان تفوتني هذه الفرصة ، علّ في هذه الكلمة من ورآء البحار دافعاً يستحثكم على التنقيب في هذا « الحقل الألسني » على ما سمّيتموه ».

كلمة حضرة العلّامة المحقق السيد التنوخي

كاتب سرّ المجمع العلمي العربي في دمشق

« لقد نشرنا في العدد الأخير من مجلتنا مقالتكم اللغوية الممتعة التي أبدعتم فيها . . وأملي قوي في ان يواصل حضرة الأب العلامة هذه الابحاث، وان لا يخلو عدد من اعداد المجلة منها . اما « المعجم الثنائي » فلا أظن ان احداً يستطيع ان يزاحمكم عليه من العلماء . . ».

يرى القارئ ان هذه الطريقة في البحث هي، في نظر هؤلاء الأئمة الكرام ، كما في نظرنا ، جزيلة الفائدة للمعجمية العربية . فمن الملائم ، لا بل من اللازم ، نشرها واتباعها . اذ هي الوسيلة الفعّالة للتمحيص ، والتحقيق،

والتأصيل ، وتبيان التلاحم بين المعاني ، وابطال التضارب والتضادّ ، واظهار المنطقيّة في تفرّع الأصول بعضها عن بعض في مختلف الالسن الساميّة ، ولاسيا في العربية ؛ وان هذا الاسلوب هو الاسلوب العلمي القاصي عن غيره من الاساليب العلميّة الكاذبة . وهو الواجب علينا تعميم مبادئه وقواعده بين جمهرة المثقفين في ربوعنا العربية .

وانت ترى اي بون شاسع بين هذه الاحكام الصائبة ، أحكام أهل العلم الاماثل ، وبين ثرثرات وسفسطات أدعياء العلم الواغلين على اللغويين ، والالسنيين ، والمستسيمين ، ولا وغول شاول على معشر النبيين .

مهما يكن من أمر ، فها نحن اولاء مواصلون الجهد في خدمة لغتنا الكريمة ، ناظرين الى شهادات اللغويّين والألسُنيين الجهابذة نظرنا الى محرّك يستحثّنا — ان كان هناك من حاجة الى حث — على المضي قدماً في ما اتخذناه سبيلًا نسلكها ، وغاية مثلى نتوخاها ، لا بالنظريات وحسب ، بل خاصةً بالامثال العلميّة المؤيّدة المبادئ ، والهاتكة الستار عن المعمّيات غير المحصاة المشحونة بها معجميّتنا .

ولنا الأمل الوطيد ان ينشأ بين معاشر الشبّان ، طلاب الجامعات ، رجال المستقبل ، فريقٌ يشعرون في نفوسهم بميل قوي يدفعهم الى تذوّق هذه العلوم ، فيقبلوا ، بادئ ذي بدء ، على تعلّم مختلف اللغات الساميّة ، فان ذلك شرط لا بدّ منه لمزاولة « الثنائيّة والألسنيّة » مزاولةً علميّةً ، تعود بكبير العوائد على لغتنا ، فتفتح امامها سبيلًا جديداً ملحوباً ، سبيل تجدّد وانتعاش ، سبيل تقدم ونجاح .

ذيل

جاء في هذا السفر ذكر اسم الاب انستاس ماري الكرملي الموقر، رحمه الرحمان، واسكنه فسيح الجنان .

فبهذه المناسبة لا مندوحة لي من التصريح بما يلي؛ وان لاح في الامر استطراد، فللضرورة احكام . فاقول، قياماً باحقاق الحق، وابطال الباطل:

« ان اجزل الافضال وأسبغ الآلاء عليّ، في ميدان الثقافة العلميَّة، الدينيَّة والدنيويّة، هي لحضرات الآباء الدومنكيّين الذين تخرّجت عليهم، أوّلا في مدرستهم الاكليريكيَّة، ثم في معاهد رهبنتهم الكريمة عينها، رهبنة العلوم السامية، والمآثر الخالدة، والرجال العباقرة، التي اعتدّ شرفاً لي وسيما كوني في عداد ابنائها الافاضل، وفي مصفّ اساتذة معهدها الشهير في العالم، المعهد الكتابي والآثاري في القدس الشريف .

أما مدرسة المبعث الكرملي، في بغداد وطني، فلم اتخرّج فيها . لاني تلقيت دروسي الابتدائية، قبل دخولي الاكليريكيَّة الدومنكيّة، في « مدرسة الاتفاق الكاثوليكي البغدادية الوطنيَّة ». إذن لم أكن قط تلميذاً لاحد الآباء الكرمليين الاجلّاء، ولاسيما لحضرة العلّامة الاب انستاس ماري الكرملي ذاته . اذ اني لما عرفته واخذت في التردّد الى خزانة ديره قصد المطالعة، كنت قد اصبحت من زمرة رجال الكهنوت؛ وكانت معارفي العالية، وفي جملتها العربية، قد تكاملت؛ مما جعلني في غنى عن الافتقار الى علمه مهما كان. . . فكنت اباحثه مباحثة العارف المطّلع . هذا وفي عُرف اي قوم كانت يوماً مطالعة الاسفار والمطارحة تلمذة؟ وقد اضطررت، فيما بعد، الى مناقشته وتزييف آرائه الفائلة، بمقالات شتى، في مواضيع متنوعة، كما هو الشأن في أصل « العقل والكروبيم » في هذا الكتاب .

مع هذا كله، لقد كنت انظر بعين الاعجاب الى ما كان له من الصبر والجلد في البحث والتقصي لنبش عاديات ومتحجرات العربية، التي كان مغرماً بها غراماً افقده تؤدة الفكر الرائق، غير الخاضع لسيطرة المخيلة والهوى، للفرق بين نفيس أعلاقها، وخسيس سلعها. ان العربية هي، كسائر اللغات، مجموعة أصوات طبيعية، بشرية، أرضية، يستخدمها الناس للتعبير عن افكارهم. وهي مزدانة بمحاسن فريدة لا يُحصى عديدها، ولا يجحدها الا جاهل أو مكابر. وهذا ما اعمد الى تبيانه واثباته، في تضاعيف ما اكتبه، كلّما اقتضى الحال؛ لا بتعابير الهيام والتقديس والتأليه، شأن الشعرآء المشغوفين، والصوفيين المجذوبين — مما يجعلنا نحن ولغتنا هدفاً لسخرية عقلاَء الأعراب والأغراب — بل بالكلام العلمي المتزن الصارم، الخالي من كل خيال، والمعزّز بالادلة اللامعة المقنعة. الا ان الحق والعلم ومصلحة اللغة لمّا يدفعني دفعاً الى الاقرار بان العربية، في حال نظامها الحاضر المأثور، غير خلو من مختلف الشوائب التي في طليعتها شائبة اللامنطقيّة في المعجمية، كما يتضح ذلك من ابحاث هذا السِفر وصنوه[1].

كان انشآء الاستاذ الكرملي الجليل ساذجاً الى حدّ الابتذال في الكتابة، كما في الخطابة التي لم يكن من رجالها البتة. وكان اسلوبه في البحث غير منطوٍ على كل مطلبات الاساليب العلمية الحديثة؛ وذلك لنقص في تحصيله الاول العتيق الطراز. وكانت معرفته للألسن السامية، خلا العربية، ضئيلة جداً، لا تتعدّى قراءة الالفاظ والكشف عنها في المعاجم؛ فضلًا عن جهله كل الجهل باللغة الاكديّة (الأشوريّة — البابليّة)، وحتى بالحبشيّة. ولذا، فغالباً ما، كانت تأتي مقارنته وتأصيله لكثير من المفردات السامية صرف تخيُّلات وأوهام.

---

(١) المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية السامية. تأليف الاب مرمرجي الدومنكي. مطبعة الابآء الفرنسيسيين. (القدس — فلسطين).

ومن دواعي الأسف ما كان عليه من الاغراق في المغالات والغرابات، والاندفاع الى التوعر والخرتشة في مجال الكلام والاقلام، مما كان يشين علمه ومكانته، ويقصي عنه أخلص الاصدقاء، وأقرب الزملاء العلماء. بيد سبحان من لا عيب فيه! فانه ان كان الاب المرحوم، مثل جميعنا نحن بني آدم، عرضة لشيء من النقائص البشرية، فقد كان ايضاً متجملاً بزايا سنيّة، ومتمسكاً بالاعمال الروحية، والتنسكات الرهبانية.

مهما يكن من أمر، فان الاستاذ الفهامة الأريب قد توصل، بفعل طموحه الى طيب الاحدوثة، وبقوة مزاجه البطّاش، وبشدّة ولوعه باللداد واللزاز، وبدوام عكوفه، طوال الحياة، على نوادر وغرائب الدراسات اللغوية، الى ان تبوّأ منزلة عليا في نظر المحافظين المتشدّدين... من ارباب العربيّة، في عصرنا هذا، عصر النهضة والتجديد والتيسير، والقضاء على كل معقد في اللغة وعسير...

أزيد على ذلك اني، في أيام فقيد لغتنا الكريمة، وأوطاننا العزيزة، الاب انستاس ماري الكرملي الامام الحجّة... قد قمت، عدة سنين، بادارة مدرسة الآباء الكرمليين في بغداد، وانا في ريعان العمر. وقد درّست فيها، بمعزل عن قواعد التركية والانكليزية، اللغتين العربية والفرنسية وآدابها، ثم الخطابة والمنطق والفلسفة. فهل يا ترى حضرة علامتنا الكرملي الجزيل الحرمة علمني كل هذا، ودرّسني، فضلاً عنه، السريانية والعبرية والاكدية والحبشية، والمقارنات الساميّة، وغير ذلك مما اعرفه باتقان، أو ألم به، من العلوم والالسن القديمة والحديثة؟

أمّا الإدعاء بان «نظرية الثنائية» علم خاص به، ذاع وشاع باسمه وفضله دون غيره، فهو من مألوف المغالات الفاحشة. فان أحمد فارس الشدياق وضع كتابه «سر الليال في القلب والابدال» في مثل هذا الشأن، سنة ١٢٨٤ هـ الموافقة لسنة ١٨٦٧ م، اي عام ولادة الاستاذ الكرملي، على ما أظن. فهل أبصر علامتنا نور هذا العالم، وقد ألقيت في نفسه هذه

النظرية وحياً سماوياً ؛ فتسلل الشدياق فاختلسها منه، وهو رضيع في مهده، فادّعى انها من مستنبطاته ؟ ثم ان اللغوي الأشهر ، والإمام الاكبر ، الشيخ ابراهيم اليازجي ، وجرجي زيدان ، والشيخ العلايلي ، قد تصدّوا لطرق باب هذه القضية بتفاوت . غير اني لا احسبني مخطئاً بقولي انهم كلهم — على مثال الاب الكرملي الجليل — قد نقلوا ما قالوه ، عن المستشرقين الغربيين ، أو استلهموهم في ذا البحث، إما رأساً ، وإما اللاحق بواسطة السابق . اما الغربيون فقد شرعت طائفة من ألسنيّيهم في الاهتمام بهذا الموضوع ، منذ زهاء قرن ، في مجال اللغات الآرية والسامية وغيرها . لكن قد سبقهم جميعاً في القول بهذا الرأي فريق من أئمة العبرية ، منذ أحقاب عديدة . وفي جملتهم اللغوي المدقق داود بن ابراهيم الفاسيّ ، من اهل القرن العاشر للميلاد ، في معجمه العبريّ — العربي المعنون « كتاب جامع الالفاظ » فهل يا ترى اختلس الفاسيّ المذكور « نظرية الثنائية » من الاستاذ الكرملي المكرَّم تسعة قرون قبل ان يُخلق ؟ !

أما انا فقد انتبه فكري لهذه المسألة ، عهد الدراسة في الاكليريكية الدومنكيّة ، أثناء مقابلتي الاصول العربية بالاصول السريانية ، في المعجم السرياني — العربي ، للمطران منّا ؛ وبما وقع تحت نظري من الفصول المشار فيها عرضاً الى هذه المادة في بعض كتب صرف هذا اللسان الأرامي ، كمصنف الدكتور منكنا ، والمستشرق رُوبنس دوڤال ، ثم بقراءتي « سر الليال » للشدياق و « الفلسفة اللغوية » لزيدان . على اني لم اتخصص لهذه « النظريات الثنائية والالسنية السامية » الا في « معهدنا الكتابي والآثاري ».

ومما تفرغت له تفرّغاً شخصياً — ربما لم يسبقني اليه أحد من علماء العربية — ليس الاجتزاء بالعمل الهين القريب المتناول ، اي ببسط مبادئ الثنائيّة ملخصة ، كما فعل الاب الكرملي الموقّر وغيره ، بل السعي الحثيث الشاق في تطبيق هذه المبادىء ، مدعومة بالألسنيّة السامية ، على مواد المعجم العربي كله ، بغية تجريده من شائبة الضدّية واللامنطقية الموصوم بها . وقد

أوردت التفاصيل الضافية ، في صدد هذا ، في كتابيَّ المخطوطين وهما : « ماهيَّة الثنائية والالسنية » و « قواعد اللغة الاكدية » ؛ ثم في « المعجم الثنائي – الألسني » الذي ما زلت دائباً في اعداده .

فلتعرف كل ذلك وتعِه عصبة المتقوّلين من شيعة الاب أنستاس ماري الكرملي إمام العربية الاعلى... وهم صنف من معلّمي الاحداث ، شرقيّ الشريعة وغربيّها ، الذين لم يتخرّجوا الا في مدارس ابتدائية ، بين تلك الأغوار والأنجاد ؛ وليس لهم ادنى إلمام باي لسان من الالسنة السامية ، ولا بأيّة لغة من اللغات الاروبية الحديثة ، فضلًا عن القديمة . ومع ذلك تراهم وارشين ، دون إِبَة ، على علم وعلماء الثنائيات والالسنيات الساميات ، فيهرفون بما لا يعرفون ...

اختم هذه الكلمة بمعنى ما جاء في المطلع : « دومنكي انا . وهذا مجدٌ لي مؤثّل . ولا فضل علـيّ لاحد ، في باب المعارف الراقية ، الّا لرهبنتي الدومنكيّة المباركة ، رهبنة العلم والعلماء » .

هذه صفوة من الحقائق الناصعة التي اعرفها معرفة خبير وشاهد عيان . فازّفها الى نشّاد الحق وانصاره ، والى مستقصي التواريخ والتراجم - والسلام ».



فهرس الكتاب

ـ تصويبات ـ

غلط	صواب	صفحة	سطر
مُر	هر	١٢	٨
Qarma	Qamra	٧٩	٩
السامية	السامية الأخر	١٦٠	٧